الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد خيضر- بسكرة –

كلية الآداب واللغات
قسم الآداب واللغة العربية

بنية الوصف في رواية "السمك لا يبالي"

لـ: إنعام بيوض

مُذَكِرَة مُقَدَّمَة لِنَيْل شَهَادَة الماستر فِي الآداب واللُّغَة العَرَبِيَّة
تَخَصُّصْ: أدب حديث ومعاصر

إعداد الطالبة:
سهام مرغمي

إشراف الأستاذة :
هنية مشقوق

السنة الجامعية:
1436-1437هـ
2015-2016م

بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٢٠

شكر و تقدير

الشكر لله أولا وأخيرا والحمد لله الذي أنار لنا دروب العلم والمعرفة وأعاننا على أداء هذا الواجب ووفقنا في إنجاز هذا العمل .

نتوجه بالشكر الجزيل إلى من لم يبخل علينا بالتوجيهات والنصائح.

إلى أستاذتنا المشرفة " مشقوق هنية " ، ولن ننسى في الأخير أن نشكر من ساهم في تقديم الدعم لنا سوءا من بعيد أو من قريب وخاصة مكتبة الرائد.

مُقَدَّمَة

مقـدمــة

تعتبر الرواية من بين الأجناس الأدبية التي احتلت مكانة مرموقة في المجال الأدبي وبين أوساط الأدباء لاستيعابها للواقع ومتغيراته ولما تتميز بجماليات وخصوصيات فنية، وما يزيدها بهاء ورونقا هو احتواؤها على عناصر أساسية ومهمة من حوار، ولغة شعرية، ووصف...

ولعل هذا الأخير جاء ليغذي النص السردي ويجعله أقرب إلى القارئ حيث يرسم المساحة، والخلفية التي فيها الأحداث ويصور الشخصيات، ويجسد الأشياء فهو أساسي وضروري في بناء المشاهد المكانية، فوجوده في الرواية ضرورة لابد منها فالكاتب يلجأ إلى الوصف ليقدم صورة دقيقة للمتلقي بطريقة أسهل، ويسعى دائما إلى انتقاء الكلمات المؤثرة والتي لها وقع في نفسية القارئ وهذه الأهمية البالغة التي يكتسبها الوصف في الرواية حفزتنا على إنجاز بحثنا هذا، وكذلك الميل إلى الأدب الجزائري وبخاصة الرواية النسوية المكتوبة باللغة العربية، ومن هنا ينطلق البحث من إثارة إشكالية بنية الوصف في رواية "السمك لا يبالي" ويهدف للإجابة عن التساؤلات التالية:

ما هو الوصف وما علاقته بالسرد؟ وما هي الإستراتيجية التي تبنتها "إنعام بيوض" لتقديم الشخصيات داخليا وخارجيا؟ وهل كان للمكان نصيب من هذه التقنية؟ وقد اعتمدنا لأجل ذلك على المنهج البنيوي بالإضافة إلى المنهج الوصفي التحليلي،وقمنا بتقسيم البحث إلى مدخل وفصلين حيث أوردنا في المدخل لمحة وجيزة عن الوصف ، وعلاقته بالسرد والزمن،وقد تناولنا في الفصل الأول: تعريف الشخصية ووصف الشخصية في رواية "السمك لا يبالي "ببعديه الداخلي والخارجي وأخيرا وصف الأشياء وعلاقتها بالشخصية في الرواية ، في حين تناول الفصل الثاني المعنون "بوصف المكان في رواية السمك لا يبالي": تعريف المكان، وصف المكان في الرواية،والمكان وعلاقته بالأثاث وقد خلصنا في نهاية البحث إلى خاتمة أدرجنا فيها أهم النتائج التي توصلنا إليها وعبر هذه الدراسة كان مصدرنا الأساسي هو رواية "السمك لا يبالي" التي كانت الأساس في بحثنا هذا

وطبقنا عليها كل معارفنا وكان إلى جانبها مجموعة من المراجع المهمة التي استعنا بها لإنجاز هذا البحث نذكر منها: في نظرية الرواية لعبد المالك مرتاض ،و بنية النص الروائي لحسن بحراوي ، وكذلك جماليات المكان في الرواية العربية لشاكر النابلسي إلى غير ذلك من المراجع الأخرى التي كانت بمثابة نبراس أنار دربنا . ولم يخل انجاز هذا البحث من بعض الصعوبات ولعل أهمها: أن موضوع الوصف هو موضوع جزئي صعب علينا مهمة البحث وكما واجهتنا صعوبة تطبيق المادة على الرواية ورغم ذلك فإن هذه العراقيل كانت حوافز دفعتنا أكثر للغوص في الموضوع.

وفي الختام نتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذة الفاضلة "مشقوق هنية " على كل الملاحظات الدقيقة والتوجيهات السديدة لإعداد هذا البحث من خلال المساندة العلمية والمعنوية وكذلك تحفيزها المستمر الذي ساعدنا للوصول إلى مبتغانا فلها منا جزيل الشكر والتقدير والاحترام وكما أتقدم بالشكر إلى كل من قدم لنا يد العون لإنجاز هذا البحث. وفي الأخير نسأل الله السداد فإن أصبنا فمن الله وحده لا شريك له وإن أخطانا فمن أنفسنا.

مدخل

الوصف والسرد

أولا: الوصف .

1- الوصف لغة

2- الوصف اصطلاحا

ثانيا: السرد .

ثالثا: حدود العلاقة بين السرد والوصف

رابعا : علاقة الوصف بالزمن

أولاً: الوصف: "Description"

يعتبر الوصف من الأساليب الفنية التي احتلت مكانة مرموقة في كل الأجناس السردية سواء كانت حكاية أو قصة أو رواية "حيث لا يمكن لأي منها الاستغناء عن الوصف بل إنك لتجد هذا الوصف يتبوأ فيها المنزلة الكريمة"[1]، فالوصف في معناه العام ليس خاصا بالقصة ولا حتى بالأدب ولا هو منحصر فيهما، لأنه في الحقيقة متصل بمجالات كثيرة.[2]

1-الوصف لغة:

جاء في لسان العرب مَادة (و. ص. ف): "وَصْف الشيء له وعليه وصفًا وصِفةً، حلاه، والهاء عوض من الواو، وقيل: الوَصْفُ المصدر والصِّفَةُ الحِلْيَةُ، الليث: الوصف وصفك الشيء بحليته ونعته وتواصفوا الشيء من الوصف"[3]

2-الوصف اصطلاحا:

لقد تضاربت آراء الدارسين في تحديد مفهوم الوصف بين ما قدمه القدماء منذ عهود الجاهلية الأولى، والأدباء والمنظرون في العصر الحديث، "فقد اقترن الوصف منذ البداية بتناول الأشياء في أحوالها وهيئاتها كما هي في العالم الخارجي وتقديمها في صور أمينة تعكس المشهد وتحرص كل الحرص على نقل المنظور الخارجي أدق نقل"[4]ومعنى ذلك أن الوصف في القديم كان يهدف إلى نقل الأشياء كما هي في العالم الخارجي، ولعل "أبا الفرج قدامة بن جعفر "كان من أوائل العرب الذين تحدثوا عن الوصف وحدد تعريفا له في كتاب (نقد الشعر):"إنما هو ذكر الشيء كما فيه من الأحوال والهيئات ولما كان

---

[1] عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد، علم المعرفة، الكويت، 1998، ص 250.

[2]ينظر: صادق قسومة، طرائق تحليل القصة، دار الجنوب للنشر، تونس، 2000، ص 162.

[3]ابن منظور، لسان العرب، مج 14، دار الأبحاث، ط1، 2008، ص 305، 306.

[4]سيزا قاسم، بناء الرواية دراسة مقارنة في "ثلاثية نجيب محفوظ"، سلسلة إبداع امرأة، 2004، ص 111.

وصف الشعراء إنما يقع على الأشياء المركبة من ضروب المعاني كان أحسنهم من أتى في شعره بأكثر المعاني التي الموصوف مركب منها ثم بأظهرها فيه وأولاها حتى يحكيه بشعره ويمثله للحس بنعته"[1]، "ولعل الأدب العربي القديم، شعرا كان أم نثرا قد تميز فيما تميز بالعلاقات اللغوية الواصفة للأشياء المجسدة لخصائصها ووظائفها كما تمثلها وأحسها ومثلها الأدباء."[2]

أما في العصر الحديث فقد تعددت التعريفات بتعدد المذاهب ووجهات النظر فهناك من يعرف الوصف على أنه "نقل صورة العالم الخارجي من خلال الألفاظ والعبارات والتشبيهات والاستعارات التي تقوم لدى الأديب مقام الألوان لدى الرسام والنغم لدى الموسيقي"[3] فالوصف هَاهُنا يفسح المجال للأديب أن يرسم للقارئ وينقل له بواسطة عبارات الصور الجمالية للعالم، فقد جاء الوصف في معجم السرديات على أنه "نشاط فني يمثل باللغة الأشياء والأشخاص والأمكنة وغيرها وهو أسلوب من أساليب القص يتخذ أشكالا لغوية كالمفردة، والمركب النحوي والمقطع، وأيا يكن شكله اللغوي فهو يخضع لبنية أساسية"[4]،"ويمكن أن يقال عن أي وصف أنه يتألف من مضمون تيمة تشير إلى الشيء أو الكائن أو الموقف أو الحوادث (منزل مثلا) ومجموعة من التمات الفرعية تشير إلى الأجزاء المقابلة (باب، غرفة، نافذة...)" [5].

"ويعرف الوصف بأنه الخطاب الذي يسم كل ما هو موجود فيعطيه تميزه الخاص وتفرده داخل نسق الموجودات المشابهة له أو المختلفة عنه بمعنى أن الوصف هو الآلية

---

[1] قدامة بن جعفر، نقد الشعر، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص 130.

[2] عثمان بدوي، وظيفة اللغة في الخطاب الروائي الواقعي عند نجيب محفوظ دراسة تطبيقية، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2000، ص 79.

[3] محمد بوزواوي، معجم مصطلحات الأدب، الدار الوطنية للكتاب، الجزائر، 2009، ص 306.

[4] مجموعة من المؤلفين، معجم السرديات، دار محمد علي للنشر، تونس، ط1، 2010، ص 472.

[5] جيرالد برنس، تر :عابد خزندار المصطلح السردي(معجم مصطلحات)، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2003، ص 58.

الفنية التي يستطيع الراوي من خلالها تسليط الضوء على التفاصيل الجزئية لمظاهر الأشياء أو الأماكن أو الشخصيات التي يراها جديرة بأن تكون محط أنظار القراء".[1]

فالوصف هو الذي يجعل الأديب يركز عدسته على العناصر الدقيقة في عمله من وصف للشخصيات ، والأماكن ، والأشياء، وبهذا يعطي تميزا أو تفردا لذلك العمل ويجعله محط جذب للقراء، ومهما اختلفت زوايا النظر في تقديم تعريف محدد للوصف وتحديد غايته إلا أنها تتفق على أهمية وجود هذا العنصر في العمل الأدبي خاصة السردي باعتباره أسلوب فني ساهم مساهمة كبيرة في إعطاء جمالية للنص.

ثانيا : السرد "Narration":

الحكي كان ولا زال يلازم الإنسان ونجده في كثير من الخطابات "ويقوم (...) عامة على دعامتين أساسيتين : أولهما: أن يحتوي على قصة ما تضم أحداثا معينة وثانيهما: أن يعين الطريقة التي تحكى بها تلك القصة وتسمى هذه الطريقة سردا ذلك أن القصة واحدة يمكن أن تحكى بطرق متعددة لهذا السبب فإن السرد هو الذي يعتمد عليه في تمييز أنماط الحكي بشكل أساسي"[2]، "وهو نقل يتم وفق منطق خاص تختلف ضروبه باختلاف الأنواع القصصية والمذاهب الأدبية وغيرها من العوامل"[3]، ومن هذا المفهوم يمكن القول أن السرد هو الطريقة التي تحكى بها القصة، وإن اختلاف أنماط الحكى يعود إلى اختلاف هذه الطريقة، "ولقد اتسع اليوم مجال استخدام السرد فأصبح يطلق على كل ما يتعلق بالقصص فعلا سرديا أو خطابا قصصيا أو حكاية"[4]، أي بمعنى أن السرد

---

[1] نفله حسن أحمد العزي، تقنيات السرد وآليات تشكله، دار غيداء للنشر، عمان، ط1، 2011، ص 100.

[2] حميد لحميداني، بنية النص السردي (منظور النقد الأدبي)، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر، بيروت1991، ص 45.

[3] صادق قسومة، طرائق تحليل القصة، ص 114.

[4] مجموعة من المؤلفين، معجم السرديات، ص 246.

يتعلق بكل ما هو محكي أما "إذا نظرنا إلى السرد من ناحية تلفظيه تخاطبيه تبين لنا أن السرد وجه من وجوه عمل تواصلي بين الراوي والمروي له"[1].

ويمكن أن نقول من خلال ما سبق ذكره إن السرد متعلق بكل ما هو محكي و"إن كون الحكي هو بالضرورة قصة محكية يفترض وجود شخص يَحكي وشخص يُحكى له أي وجود تواصل بين طرف أول يدعى "راويا أو ساردا" "Narrateur"، وطرف ثان يدعى "مرويا أو قارئا" "Narrataire" وأن السرد هو الكيفية التي تروى بها القصة عن طريق القناة"[2]، والتي يمكن أن نوضحها في الشكل التالي:

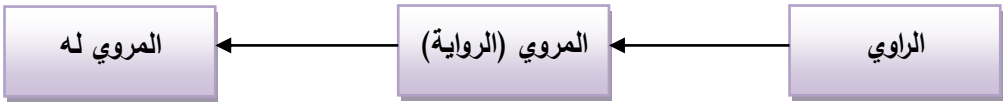

الشكل رقم: 01

ونلاحظ من هذا الشكل أن السرد نسيج من الكلام يتطلب توفر كل من: الراوي والمروي، والمروي له، وهذه العناصر هي مكونات السرد.

فالسرد إذن هو "الطريقة التي يختارها الروائي أو القاص أو حتى المبدع الشعبي (الحاكي) ليقدم بها الحدث إلى المتلقي".[3]

---

[1] مجموعة من المؤلفين ،معجم السرديات ، ص 244 .

[2] حميد لحميداني، بنية النص السردي، ص 45.

[3] آمنة يوسف تقنيات السرد، في النظرية والتطبيق، دار الحوار للنشر، سوريا، ط1، 1997، ص 28.

ثالثا : حدود العلاقة بين السرد والوصف:

إن أي عمل روائي يحتوي على جملة من الأحداث المتتابعة التي تدعى "السرد" ومن جهة أخرى يحتوي مواصفات لأشخاص، وأماكن، وأشياء معينة، وهو ما يدعى "بالوصف" بمعنى أن أي عمل روائي ينقسم إلى مقاطع سردية، وأخرى وصفية ويجمع بين هاتين الثنائيتين علاقة انسجام تارة وعلاقة تعارض تارة أخرى، فهل يمكن للمبدع أن ينجز عَمَلَهُ السردي دون أن يصف؟ للإجابة عن هذا السؤال لابد من عرض لأهم آراء الباحثين، فهناك من يرى بأنه: "تتناول المقاطع السردية الأحداث وسريان الزمن أما المقاطع الوصفية، فتتناول تمثيل الأشياء الساكنة، ونستطيع أن نتصور مقاطع وصفية خالية تماما من عنصر الزمان "والحجرة مربعة متسعة الأركان موفورة الأثاث ببساطها الشيرازي وفراشها الكبير ذي الأعمدة النحاسية الأربعة والصوان الضخم والأريكة الطويلة المغطاة بسجاد صغير المقطع مختلف النقوش والألوان " فهذا الوصف ساكن تماما بل إنه يخلو من الأفعال. ولكن من الصعب تصور مقطع سردي خال من العنصر الوصفي"[1].

ومن هنا يمكن القول أن "لزوم الوصف للسرد أكثر من لزوم السرد للوصف"[2] "حيث لا يمكن للسرد أن يتحقق إلَّا بالوصف وفي الوقت نفسه ليس كل وصف سردا حتى في الجمل التي تبدو سردية مجردة من الوصف تحتوي على وصف"[3] والوصف انطلاقا من هذا المنظور "أكثر لزوما (للنص) وذلك لأنه أسهل علينا أن نصف دون أن

---

[1] سيزا قاسم، بناء الرواية دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، ص 116.

[2] عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، ص 152.

[3] شعبان عبد الحكيم محمد، الرواية العربية الجديدة دراسة في آليات السرد، مؤسسة الوراق للنشر، عمان، ط1 2014، ص 115.

نحكي من أن نحكي دون أن نصف (ربما لأن الأشياء يمكنها أن توجد بدون حركة على عكس الحركة التي لا تستطيع أن تكون بدون أشياء)".[1]

ومن الملاحظ أن معظم الباحثين اشتركوا في تحديد سمة الوصف المتميزة بالسكون والسرد المتميز بالحركة وربما تعود هذه الصفات التي أسندت لكل منهما إلى أن "السرد يكون –عادة– في جمل فعلية مادتها إيراد الأعمال أما الوصف فيكون عادة في جمل اسمية مدارتها إسناد صفات إلى موصوفات"[2] "إذ نجد أحدهما أكثر حيوية (السرد) وأحدهما الآخر أكثر تأملية (الوصف)" [3] "ومع أن الفرق هنا يبدو واضحا بين الوصف والسرد فإن التمييز على المستوى العملي ليس بسيطا"[4] "فالوصف إنشاء وتقبلا يتطلب غير ما يتطلبه السرد، فالسرد إنما يتطلب أساسا معرفة الأعمال وتذكرها والربط بينها، أما الوصف فيتطلب معرفة الميدان الذي ينتمي إليه الموصوف"[5]، وعلى الرغم من التعارض الذي نلمسه في علاقة الوصف بالسرد في بعض النقاط إلَّا أن هناك صفات مشتركة تجمع بين السرد والوصف "وإننا ونحن نصف إنما نخبر المتلقي من حيث لا نشعر بأحوال نسردها عليه".[6]

وخلاصة يمكن أن نتوصل إليها في تقديمنا لهذا العنصر أن لكل من السرد والوصف دور كبير في بناء المشاهد الروائية فهما وجهان لعملة واحدة، فمهما تعارضا واختلفا في بعض السمات إلا أن الغرض والهدف منهما هو بناء العمل الروائي.

---

[1] ناصر يعقوب، اللغة الشعرية وتجلياتها في الرواية العربية، دار الفارس للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2004 ص 249.

[2] صادق قسومة ، طرائق تحليل القصة، ص 164.

[3] عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، ص 251.

[4] حميد لحميداني ، بنية النص السردي، ص 78.

[5] صادق قسومة ، طرائق تحليل القصة، ص 164.

[6] عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، ص 258.

رابعا : علاقة الوصف بالزمن

يعد كل من الوصف والزمن مكونين أساسين، باعتبار أن الوصف تقنية زمانية من الصعوبة أن يخلو منها العمل الروائي، وهي تقنية يلجأ إليها الكاتب لتعطيل السرد "ويعمل على إبطاء وتيرته وإيقاعه مما يترتب مفارقة زمنية أي اختلالا في النظام الزمني للقصة (...) ثم يعود لاستئناف سرد القصة"[1] أي أنه يوقف الزمن " يشكل توقفا في مسيرة تنامي وتدفق الأحداث"[2]، وهذا التوقف يمكن أن يستغرق زمنا طويلا أو قصيرا "إذ أن الراوي عندما يشرع في الوصف يعلق بصفة وقتية تسلسل أحداث الحكاية، وهذا بدوره يؤدي إلى اتساع المساحة النصية لزمن السرد على حساب زمن الحكاية"[3]، "فيما يمكن التمثيل له بالمعادلة التالية: زمن السرد<بكثير من زمن الحكاية".[4]

فهذه التقنية يستعملها الكاتب ليس عجزا منه في نقل تطور الأحداث بأدق جزئياته وإنما "يلجأ إليها في العادة لأغراض عدة من أهمها كبح جماح الزمن في تدحرجه الموصول باتجاه النهاية لإيجاد المزيد من التشويق"[5] ومن خلاله ينقل الكثير من الجزئيات المرتبطة بوصف العناصر المساهمة في بناء الرواية (وصف الشخصيات، المكان...) بمعنى أنه يجعل القارئ يتعمق في الحدث ويعيشه.

---

[1] محمد بوعزة، تحليل النص السردي تقنيات ومفاهيم، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، الجزائر، ص 97.

[2] عبد اللطيف محفوظ، وظيفة الوصف في الرواية، منشورات الاختلاف، ط1، 2009، ص 63.

[3] نفلة حسن أحمد العزي، تقنيات السرد وآليات تشكله، ص 100.

[4] آمنة يوسف، تقنيات السرد، ص 93.

[5] إبراهيم خليل، بنية النص الروائي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1 ،2010، ص 113.

الفصل الأول

وصف الشخصية

أولا: تعريف الشخصية.

ثانيا: وصف الشخصية في رواية" السمك لا يبالي"

1: الوصف الخارجي

2: الوصف الداخلي

ثالثا: وصف الأشياء وعلاقتها بالشخصية.

أولا: تعريف الشخصية:(Personnage)

تعد الشخصية عنصرا مهما في البناء السردي ، كما أنها تمثل المحور الأساسي في السرد، فالشخصية هي المحرك للأحداث " فلا يمكن تصور قصة بلا أعمالكما لا يمكن تصور أعمال بلا شخصيات"[1] و هذا ما يبدو واضحا و جليا من خلال هذا التعريف "إن الشخصيات تمثل المبدأ الأول في ائتلاف عناصر القصة و انسجامها"[2]

لقد اختلفت وجهات النظر "و تباين الدارسون و المنظرون في فهم الشخصية و دراستها، و هذا راجع إلى اختلاف الرؤى و المناهج التي اعتمدوها و إلى اختلاف الزوايا أيضا"[3] و معنى ذلك أن فهم الشخصية ليس بالأمر الهين، و هذا ما جعل التباين و الاختلاف بين الدارسين واضح في تحديد مفهومها، و لقد تطور هذا المفهوم عبر الزمن، فهي عند الكلاسيكيين "شخصية حقيقية(أو شخص)-من لحم و دم- لأنها شخصية تنتقل من إيمائهم العميق بضرورة محاكاة الواقع الإنساني المحيط"[4]، و من الملاحظ أن الروائيين الواقعين يركزون على الاهتمام بالشخصية الروائية و إعطائها السلطة في العمل الروائي " فكثير من الروائيين يركزون عبقريتهم و ذكائهم على رسم ملامح الشخصية و التهويل من شأنها و السعي إلى إعطائها دورا ذا شأن خطير تنهض به تحت المراقبة الصارمة للروائي التقليدي"[5]أي بمعنى أنهم أعطوا أهمية كبيرة للشخصية الروائية

ولعل هذه الرؤية و المكانة المرموقة التي احتلتها الشخصية في القرن التاسع عشر لم تبق على حالها بل ظهر تيار أدبي حديث يرفض رفضا تاما هذه الرؤية المتعلقة بالشخصية الروائية من حيث أن لها سمات خاصة، فهذا الاتجاه يرى أن الشخصية

---

(1) مصطفىفاسي ، الشخصية في حكاية عبدو و الجماجم و الجبل مقاربة في السرديات، منشورات الأوراس، 2007 ص 57.

(2) المرجع نفسه، ص 57.

(3) صادق قسومة ، طرائف تحليل القصة، ص 100.

(4) آمنة يوسف، تقنيات السرد في النظرية و التطبيق، ص 25.

(5) عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، ص 76.

الروائية ليست إلا كائنا خياليا و ما نقرؤه عنها لا يعد إلا حبرا على ورق و ليست شخصية حقيقية كما رسمها الكلاسيكيون ،"ذلك لأنها شخصية تمتزج- في وصفها- بالخيال الفني للروائي(الكتاب)،وبمخزونه الثقافي، الذي يسمح له أن يضيف ويحذف ويبالغ في تكوينها، وتصويرها بشكل يستحيل معه أن تعتبر تلك الشخصية الورقية مرآة أو صورة(حقيقية) لشخصية معينة، في الواقع الإنساني المحيط، لأنها شخصية من اختراع الروائي- فحسب-"[1].

والملاحظ أن كتاب الرواية الحديثة حاولوا الإضعاف من سلطتها في العمل، وإعطائها مفهوما تخيليا "بمعنى أن الشخصية الروائية ليست وجودا واقعيا و إنما هي مفهوم تخيلي تتخذ شكلا دالا من خلال اللغة "[2] ، و" من أجل ذلك عُدَّت الشخصية مجرد كائن من ورق و أنها و قبل كل شيء مشكلة لسانية"[3]، و هذه النظرة القاسية للشخصية الروائية لم تتغير "و كلما تقدم الزمن ازدادت قسوة الروائيين على شخصياتهم و نتيجة لبعض ذلك لم يعد ممكنا دراسة الشخصية في نفسها(على أنها شخص أو فرد) لكن بدأت الأفكار تتجه إلى دراستها و تحليلها في إطار دلالي"[4] فنادوا بضرورة التقليل من شأن الشخصية و التقليص من دورها في أعمالهم "فانعكس هذا على القيم الفنية في العمل الروائي، فأصبح(البطل) عند "كافكا" مثلا رمزا أو حرفا(...) و صرح "غرييه" بأن العصر الحالي الآلي إنما هو عصر الشخص -الرقم-"[5].

وفي الأخير ومن خلال ما قدمناه في تعريف الشخصية يمكننا القول بأنه لا يجوز لنا أن نحصر الشخصية في تعريف واحد محدد لأننا أمام وجهات نظر متعددة، ومذاهب مختلفة في فهم هذا العنصر المهم لكن الشيء الذي نلمسه من خلال هذا أن كل

---

(1) آمنة يوسف، تقنيات السرد في النظرية و التطبيق، ص 26.

(2) محمد عزام، شعرية الخطاب السردي. دراسة، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق ،2005، ص 11.

(3) عبد المالك مرتاض ، في نظرية الرواية، ص 82.

(4) المرجع نفسه، ص 77.

(5) محمد عزام ، فضاء النص الروائي (مقاربة بنيوية تكوينية في أدب نبيل سليمان) ،دار الحوار للنشر و التوزيع ط 1، 1996، ص 86.

المذاهب تتفق على ضرورة وجود هذا العنصر في بناء أي عمل روائي مهما تغيرت النظرة إلى الشخصية من اتجاه إلى آخر.

ثانيا: وصف الشخصية في رواية «السمك لا يبالي»

كأي عمل روائي تحتل الشخصية مكانة مرموقة و متميزة في رواية «السمك لا يبالي» فهي تعد الأساس في تطوير و تحريك الأحداث، و الذي يساعدنا في تقديم هذه الشخصية بملامحها و جوانبها الجمالية هو الوصف ،ولقد اهتمت "إنعام بيوض" بأسلوب الوصف ليقينها بضرورة اعتماده في العمل الروائي، و لتأكدها الجازم بعدم انفصاله عن عملية السرد. فبالوصف استطاعت أن تقف على مواصفات شخصياتها الرئيسية و الثانوية بل حتى المهمشة.[1]

لقد تعددت الشخصيات في الرواية، وتنوع الوصف من شخصية إلى أخرى إذْ ركزت عدستها على شخصية (نور و نجم و ريما) باعتبارهم شخصيات رئيسية "هي التي تقوم بدور أساسي و بارز في السرد و سير الأحداث و دفعها إلى الأمام"[2]،"وتتمحور حوله الأحداث في الحكي"[3]، كما لم تغفل الكاتبة عن وصف الشخصيات الثانوية باعتبارها "تلعب دورا أحيانا في تحريك الأحداث و إن لم تتحرك هي بها، لعل أبرز دور أو وظيفة تؤديها الشخصيات الثانوية تتمثل في أنها هي التي تعمر عالم الرواية(...) ثم إن قضايا الرواية الأساسية تقوم و تتشكل من خلال أفعال هذه الشخصيات الثانوية الهامشية"[4]إذ تفننت الساردة في تصوير هذه الشخصيات(الرئيسية و الثانوية) ببعدها الداخلي والخارجي، وفي البداية سنحاول التركيز على هذا الأخير ورصده لأنه البعد المهيمن في الرواية.

---

(1) ينظر: إدريس الكيروي، بلاغة السرد في الرواية العربية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط 1، 2014، ص223

(2) عبد الرحمان محمد محمود الجبوري، بناء الرواية عند حسن مطلك دراسة دلالية، المكتب الجامعي الحديث الإسكندرية، 2012، ص 91.

(3) بوعلي كحال ، معجم مصطلحات السرد، عالم الكتب للنشر و التوزيع ، ط1 ،2002، ص 80.

(4) أحمد محمد عوين، دراسات في السرد الحديث و المعاصر، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر، الإسكندرية، ط 1 2009، ص 93.

1-الوصف الخارجي: قدمت من خلاله الروائية الصورة التفصيلية عن الشخصية و رسم ملامحها الخارجية لإعلام القارئ أو إثارة انطباع لديه و يختلف هذا التصوير باختلاف الشخصية.

- **نور:**

شخصية محورية و هي أكثر الشخصيات حضورا في الرواية جاء اسمها مطابقا لتصرفاتها و سلوكاتها و طبيعتها كشخصية روائية "فالاسم هو الذي يحدد الشخصية و يجعلها معروفة، و يختزل صفاتها، ولذلك لابد للشخصية من أن تحمل اسما يميزها. و الكاتب يسعى إلى أن تكون أسماء شخصياته معبرة عن دور الشخصية ووظيفتها"[1] فهي تتميز بوجهها المشرق و ضيائها الذي تنشره أينما تحل، فهي فنانة تشكيلية من أب جزائري و أم دمشقية تربطها علاقة حب بنجم الذي لا يبالي بها ، وهذا بعد انفصالها عن زوجها(نبيل)، و كما تربطها علاقة صداقة قوية إلى درجة الأخوة بينها و بين(ريما) التي تعد مثال للصداقة الحقيقية و لقد عانت من قساوة الأم على عكس أبيها الذي كان لها نبع الحنان، ووفقت في عملها حيث تخرجت من مدرسة الفنون الجميلة بالجزائر وأقامت العديد من المعارض.

ولعل وصف هذه الشخصية و تقديمها في صورتها الجمالية اختلفت من مقطع لآخر لاختلاف المواقف و اللحظات و الحالات الشعورية التي تعيشها ، ويمكن أن نمثل ذلك بـ: "تتخذ قدراتها وتنمل أطرافها و يعقد لسانها ولا يبقى فيها ما ينبئ بالروح سوى عينيها الواسعتين السوداوين يشع منها بريق ذكاء مبرح"[2]

و يتضح من خلال هذه الأوصاف المنتقاة لهذه الشخصية ،على أن الهدف منها ليس إظهار الملامح الخارجية(لنور) فقط، بل هو نقل للشعور الذي تعيشه في تلك اللحظة برفقة (نجم) فالمظهر الخارجي إنما هو مرآة عاكسة للحالات النفسية فتنمل الأطراف ،وعقد اللسان هي انفعالات تنم على الارتباك و الخجل ،وربما تنم عن الحب

(1) محمد عزام، فضاء النص الروائي، ص88.

(2) إنعام بيوض، السمك لا يبالي، منشورات الاختلاف، الجزائر،ط1 ، 2004 ، ص11.

والعشق الدفين ،لأن هذه الصفة تظهر في الغالب على الشخص عند لقائه بمن يحب، وهذا الارتباط الموجود بين أبعاد الشخصية الخارجية و الباطنية نلمسه أيضا في هذا المقطع الذي ينقل لنا معاناة (نور) والمتمثل في:" إذ تنهال بنزق جسدها الصغير الطري حكا و دعكا بالليفة الخشنة و حجر الخفان"[1].يكشف هذا المقطع عن تلك اللحظات المؤلمة التي تتعرض لها (نور) من قبل أمها التي تستمر في تعذيبها حتى تصبح "بشرتها مهترئة ملتهبة متفرزة"[2] فهذا تعبير عن الحالة المرضية التي تمر بها(أم نور).

وكما استخدمت الساردة الوصف لرسم شكل جسدها على أنه صغير و أسمر هذه الصفة التي تكررت في موضع آخر "احتضنت سميحة الوجه الأسمر الصغير بين راحتها"[3] و تقصد هنا(نور)، فتكرار الروائية لهذه الصفة هو الدافع الذي جعلنا نتقرب من هذه الشخصية و نتصورها و نرسمها في أذهاننا، و كما أبدعت الكاتبة في نقل الجانب الشكلي و هو من أهم الجوانب التي تحدد قيمة الشخصية و نورد على سبيل المثال قولها " فتاة مكتملة النضوج تقريبا بجسد رائع التناسق و أنوثة تخفيها من غير وعي"[4]فقد ركزت هنا على الجسد نظرا لماله من أهمية و خاصة عند المرأة.

ولعل اللباس أضفى رونقا على وصف شخصية (نور) من مثل" نور متألقة بفستانها الليلكي الفاتح"[5]، فاللباس هنا يمثل الأناقة و الجمال التي تميزت بها الشخصية ، كما أنه يعبر عن مكانتها في المجتمع لأن اللباس هو أول ما يلفت انتباهنا قبل التعرف على الشخصية ، كما أنها اعتمدت على الإجمال في الوصف ثم التفصيل في مثل قولها" كما هاله النحول الذي ألم بجسدها لم تلحظه في البداية، كانت ترتدي فستانا قصيرا أبيض يكشف عن ساقين منحوتين في غاية الروعة"[6]فهي نقلت لنا في البداية حالة النحول الذي ألم بجسدها ،وهذه الصفة التي أسقطتها على الشخصية كان الهدف منها هو إعطاء

(1) إنعام بيوض، السمك لا يبالي ، ص16

(2) المصدر نفسه، ص17.

(3) المصدر نفسه،ص66.

(4) المصدر نفسه،ص99.

(5) المصدر نفسه ، ص200.

(6) المصدر نفسه ، ص137.

صورة عن عدم استقرار حالتها النفسية مما انعكس ذلك على جسدها، ثم انتقلت إلى وصف جزء من أجزاء جسمها المتمثل في الساقين المنحوتتين فهي دليل على إثارة الطرف الآخر ،وإعجابه بهذه الأنوثة فالرشاقة هي مقياس ذلك.

- **ريما :**

هي صديقة (نور) و كانت على تواصل دائم معها. من أب دمشقي و أم يهودية مرت بالعديد من المواقف المحزنة في حياتها ، و المتمثلة في رحيل (نور) من دمشق إلى الجزائر ووفاة والدتها (ماري)،وتوقفت عن الكلام لمدة سنتين و تحسنت مع مرور الوقت بمساعدة (نور) و (أم إلياس)،حتى أنها أصبحت كاتبة موهوبة، شخصية ورد وصفها في الرواية في بعض المواضع كوصف شعرها ووجها فهي تتميز" بشعرها الحريري المسترسل أمواجا"[1] ووجهها الطفولي" قابله وجه طفولي"[2] و لو تتبعنا تفاصيل هذا المقطع علمنا أنه لا يصف (ريما) وإنما الانطباع الذي ترتكه في نفس (نجم) لأن الكاتبة مست جانبا مهما من جوانب المرأة وهو التركيز على الشعر المسترسل باعتباره يمثل نصف جمالها كما ركزت على الوجه حين وصفته بالطفولي ،فهي تمثل رمز البراءة و العفة، فاسمها مرتبط باللون الأبيض لون الطهارة فاسم(ريما) يعني الظبي الأبيض، و كما اكتفت الساردة برسم الهندام دون إبراز ملامح من جسدها وهو ما ورد في قولها" تلبس تنورة طويلة بلون رمادي يميل إلى الخضرة و سترة قطنية خشنة حيكت يدويا و تعلوها رسوم بدائية مطرزة بخيوط متعددة الألوان"[3] حيث أنها اختارت ألوان زاهية جذابة نستطيع أن نتخيل انعكاسها على جسم (ريما).

- **نجم :**

شخصية مزاجية الطبع، شاب وسيم لديه معجبات كثيرات نظرا لوضعه المادي و الثقافي ،فهو طبيب بارع، و نجم ساطع بارز في عمله، أحبته نور كثيرا ففي المقابل تفنن في تعذيبها بعدم مبالاته بها، و قد أجادت الكاتبة في تصوير هذه الشخصية و يمكننا رصد هذه المقاطع فيما يلي :"تخيلت تلك البنية المنتصبة أمامها بقنباز أبيض(...)

(1) إنعام بيوض، السمك لا يبالي ، ص 66.

(2) المصدر نفسه ، ص 189.

(3) المصدر نفسه ، ص189.

تحزمه لفة حريرية لماعة. و معطف كحلي غامق و طربوش أحمر"[1] و هذا الوصف يعكس ما في نفس (نور) من إعجاب به.

و كما أن الكاتبة ركزت على الهندام و الرونق الخارجي لأنه يعطي لمسة على الشخصية ،وتُقربه إلى الطرف الآخر و به تكسب الشخصية ثقة في النفس ،وإلى جانب هذا الرسم و التشكيل للهندام نجد بعض من تصوير الجسم و التركيز على جزء منه و هو العيون الزرقاء و المتكرر في الرواية ثلاث مرات و ربما هذا التكرار الغرض منه هو تبيان جمال ووسامة نجم، فعيونه هو سر إعجاب الكثير من النساء به، كما أنه سر ذكائه و فطنته فبالعيون تستطيع قول الكثير عن الشخصية و فهم طباعها و كذا بما يفكر و بما يشعر، و يتجلى ذلك في هذا القول على لسان أستاذ الرياضيات(أرتو): "أنا متأكد أن من زرقة عينيك هي التي تمنحك هذا الذكاء"[2]، و كما ورد وصف عينيه في مقطع آخر و هو كالآتي :«التقت بزرقة(...)"[3] و الملاحظ في هذا المقطع حذف الموصوف و هي كلمة(عينه) إلا أن تكرار هذه الصفة في الرواية جعلتنا نلمس هذا، و نفس المقطع تقريبا نجده في قولها" لتلتقي بزرقة عينه"[4].

وربما هذا مصدر إعجاب (نور بنجم)،وإلى جانب وصف عينه نجد صفة أخرى تميزه وهي قامته الطويلة و نورد في ذلك المثال التالي: "لكن قامته الفارعة كانت تسد الباب"[5].

فالوصف في هذه المقاطع التي قدمناها ساهم في نقل (نجم) بصورة جميلة حيث نُسبت له زرقة العينين باعتبارها مصدر الذكاء وإلهام للمرأة وطول قامته الدال على الرجولة الحقيقية فهذه الصفات هي مغرية بالنسبة لأية امرأة كانت، وهوما جعله النموذج المثالي للرجل.

---

(1) إنعام بيوض، السمك لا يبالي ، ص 59.

(2) المصدر نفسه ، ص 171.

(3) المصدر نفسه، ص 59.

(4) المصدر نفسه ، ص 12.

(5) المصدر نفسه ، ص 59.

- **جد نور:**

كان رجلا متدينا متمسكا بدينه، مات والمصحف بين يديه فهو رجل وسيم لقد نقلته لنا الكاتبة وقربت لنا شخصيته عن طريق اللباس ، والهيئة ، وهو ما سنوضحه في المثال التالي: "يلبس معطفه الكحلي الغامق الذي يصل إلى كاحله ،ويضع طربوشه الأحمر القاني، ويغادر البيت متكئا على عكازه ذي المقبض العاجي الملبس بالفضة، كانت نور مبهورة بأناقته ووسامته و وقاره ورغم الوهن الذي أخذ يدب في بنيته الضخمة"[1] وهنا ساهم السرد في رسم هيئة الشخصية في هذا المقطع إذ نجد حركية فيه لاحتوائه على أفعال من مثل (يلبس، يغادر...)، و يمكننا توضيح هذه المقاطع الوصفية أكثر من خلال التشجير التالي:

الشكل رقم 02

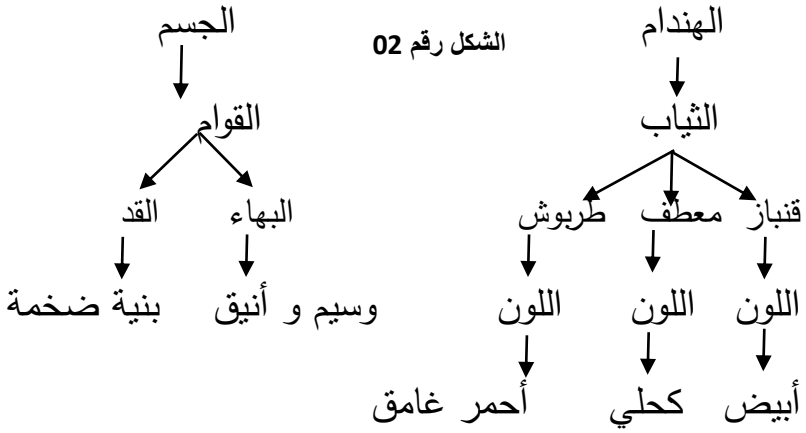

و الملاحظ على هذا المخطط هو ربط اللباس بالألوان لأن هذه الأخيرة تعطى للثوب رونقا، و جمالا ، و ينعكس ذلك على الشخصية، و كما أن" اللون لا يؤثر في قدراتنا على التمييز في الأشياء فقط ،بل و يغير من مزاجنا و أحاسيسنا، و يؤثر في تفصيلاتنا و خبرتنا"[2].

(1) إنعام بيوض، السمك لا يبالي ، ص 17، 18.

(2) هنية جوادي، صورة المكان ودلالاته في روايات واسيني الأعرج، رسالة دكتوراه، تخصص أدب الجزائري، كلية الآداب واللغة العربية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، ص 219.

- **أم نور : (هيام)**

هي في هذه الرواية تمثل نموذج الأم القاسية على ابنتها وهي امرأة مهوسة بالنظافة و كانت تدعوها (جدة نور) ببنت الأمراء ، و قد ورد رسم هذه الشخصية في موضع لعب فيه الوصف دورا كبيرا في إبراز مدى قساوتها على (نور) و هي كالآتي:" يتصبب العرق من جبينها الناصع البياض على خديها المتوردتين بفعل الحرارة المنبعثة من القازان و الخنق المتطاير شررا من عينيها الخضراوين اللتين تنظران إليها دون أن ترياها"[1]، فالعيون الخضراء هنا لعلها حملت دلالة الغموض و الغرابة، فالعيون كما سبق و أن ذكرنا هي نافذة تجعلنا نستطيع أن نرى ما بداخل الإنسان و التي يمكن أن نستشفها في شخصية (أم نور) لأننا نادرا ما نجد أما قاسية على أبنائها بمثل هذه الطريقة.

- **سميحة:**

امرأة جميلة تمتاز برقتها و هي صديقة (أم نور)المقربة تعرضت للعديد من الإهانات بسبب زواجها من (إلياس) اليهودي الأصل، دخلت السجن لإيمانها بمبادئ الشيوعية، و قد ورد وصف (سميحة) في مواضع عديدة تمزج بين وصف الهندام ووصف جزء من أجزاء الجسم ألا وهو الشعر، وهو ما ورد فيما يلي :"كانت تلبس التفريعة الوردية و شعرها الكثيف المسترسل يصل إلى خصرها أكمرا يميل إلى الشقرة "[2]فالشعر تاج المرأة و هو الذي يعزز جمالها ،ويجعلها تبدو أصغر سنا من العمر الحقيقي وفي المقطع الموالي حاولت أن تقرب لنا الشخصية من خلال رسم شكل هندامها "بفستانها الفضفاض الذي يود عبثا أن يكون سترا لجسد ملفوف رائع الاستدارات"[3] ثم انتقلت في وصف آخر لتبرز لنا وضعية و شكل شعرها في المثال الموالي:" و شعرها معقوص إلى الخلف بينما كانت تلبس الملاءة عند خرجاتها الليلية التي أصبحت ترافقها فيها أم نور"[4]، و في هذه

(1) إنعام بيوض، السمك لا يبالي ، ص 16.
(2) المصدر نفسه ، ص 66.
(3) المصدر نفسه ، ص 21.
(4)المصدر نفسه ، ،ص 67.

المقاطع جمعت الروائية بين الشعر و اللباس لتشكل لوحة جميلة و صورة رائعة لشخصية (سميحة).

- **جدة نور :(خديجة لغريسية)**

لقد اعتمدت الكاتبة في وصفها على نقل جزيئات من جسمها و يمكن لكل قارئ في هذا المقطع أن يرسم هيئتها في مخيلته و هو ما ورد في المثال التالي:" قصيرة القامة، نحيلة الجسد، صارمة التقاطيع"[1] فهذا المقطع خال من السرد، خال تماما من الأفعال و الحركة يمتاز بالسكون، فصفة النحول المنسوبة لجدة نور راجعة إلى حالتها النفسية المتعبة من فراقها لأبنائها، و موت ابنتها (ماري) دون أن تراها لزواجها بمسلم.

- **ماري :**

هي والدة (ريما)، امرأة تمتاز بجمالها و رقتها و هو ما نقلته لنا الكاتبة في قولها:

" هي الرقيقة الوديعة"[2]، يهودية الأصل تزوجت من مسلم(مصطفى)، و عانت كثيرا من إنكار أهلها لها بعد زواجها ، و هذا الرفض راجع إلى الاختلاف الموجود بين المعتقدات و الديانات، إذ صورت لنا الساردة هذه الحالة بواسطة الوصف و المتمثل في: " بسبب نحولها المتزايدة و شحوبها الذي زاد من بياض بشرتها"[3]، فكلمة زادت من بياض بشرتها تعني أنها كانت بيضاء و الملاحظ أن الأسماء مطابقة للصفات التي أسقطتها على الشخصية (فماري) في العموم تعني المرأة البيضاء، و كما أن الروائية ربطت صفة النحول في كثير من المواضع بالحالة النفسية و ذلك ليقينها بأن الملامح الخارجية هي انعكاس لباطن الإنسان.

(1) انعام بيوض السمك لا يبالي ، ص 22.
(2) المصدر نفسه ، ص 19.
(3) المصدر نفسه، ص 69.

- **أم علي :**

هي زوجة (مصطفى) الأولى و ضرة (ماري) تزوجها طمعا في ثروة أبيها، فرضت سيطرتها على شؤون البيت و التجارة بعد وفاة جد (ريما) و دخول زوجها إلى المستشفى الأمراض العقلية، و لقد ورد وصف هذه الشخصية في مقطع تريد من خلاله الساردة أن ترصد لنا الفرق الواضح بينها و بين (ماري) و تنقل من خلال هذا الوصف السبب الذي جعل مصطفى يبحث عن امرأة أخرى و المتمثل في ما يلي: "الفظة، النزقة، البدينة"[1]، و الملاحظ في الرواية التركيز على البعد الديني و كذا تداخل الثقافات و الأديان بين المجتمعات.

كما سبق و أن ذكرنا أن (نجم) هي شخصية مزاجية الطبع و كثيرة العلاقات، شاب وسيم أعجبت به الكثير من النسوة و من بينهم:

- **نفيسة:**" التي كانت على استعداد للتنازل على كل ثروتها للظفر به"[2] فهي مثال للمرأة السلبية الخانعة التي ترضى بالاستغناء عن كرامتها و راحتها و مشاعرها لأسباب ذكورية، و نلمس هنا دلالة المفارقة و التناقض الموجود بين اسمها و الصفات المنسوبة إليها فاسم (نفيسة) يعني غالية الثمن و ذا عظمة و قيمة، فهذا الاسم لايميت بصلة إلى الغلاء بل إلى الذل لأنها كانت ذليلة مسلوبة الكرامة، حاولت الساردة أن تصورها لنا عن طريق وصف الهندام و الشكل في المقطع الموالي: "امرأة في حدود الأربعين بدت كما لو كانت تنتظره، كانت ترتدي معطفا أسود يصل إلى كاحلها و على رأسها وشاح حريري سميك سماوي اللون(...) كانت بنفس طوله تقريبا"[3].

- **بيغي الخنزيرة:**

كما كان يلقبها (نجم) وفي وصفه تحقير لها. مما يدل على بخس قيمتها، فلقب الخنزيرة يطلق على المرأة الخائنة لزوجها ، فالألقاب هي التي تقرب الشخصية أكثر وأكثر إلى القارئ فهي تحدد نوع الشخصية تحديدا دقيقا، وهو ما نورده في المقطع التالي:

(1) إنعام بيوض السمك لا يبالي ، ص 19.

(2) المصدر نفسه ، ص150.

(3)المصدر نفسه ،ص150

"بيغي الخنزيرة امرأة متزوجة(...) كانت ممتلئة إلى حد الوفرة، ذات وجه طفولي في غاية الجمال"[1]، فالوجه يلعب دورا كبيرا في تحديد نظرة الشخص إلى الآخر، فوجهها الطفولي دلالة على الرقة و النعومة لا على البراءة و صفاء القلب.

ولقد اعتنت الساردة أيضا بحركة الوصف وفق ثنائية الكل والجزء وهو ما نجده في بعض المقاطع الوصفية منها وصف شخصية:

- **أم الياس:**

وهي شخصية ذات أصل يهودي كان لها ولد وحيد سافر إلى أمريكا لغرض إكمال دراسته، كانت (داية) تمتاز بالبراعة في توليد النساء وتُشَبِّهها الساردة على لسان (أبو سطيف) الذي أعجب بها أيما إعجاب ونمثل له بما يلي: "وقد التحفت بملاءة سوداء تسفر عن وجه يحتل زوج من الأعين الواسعة الشهلاء جل صفحته وترتمي أهدابها السوداء فوق خدين ناتئين متوردتين مثل القمر إذا أشرق"[2]ويمكن وضع هذا المقطع على المخطط التالي:

الشكل رقم 03

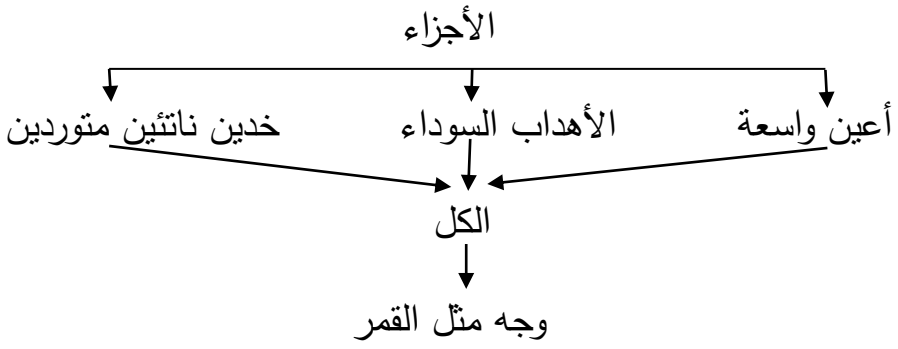

وهنا نلحظ التدرج الوصفي لأجزاء الوجه الذي ساهم كل جزء في إبراز جاذبية الكل فالعيون والشفاه دور في لفت الأنظار، وكذا الخدود التي لا تقل أهمية في هذا المجال إذ

(1) إنعام بيوض ، السمك لا يبالي ، ص 147.

(2) المصدر نفسه ، ص 25.

أن اللون الوردي والرونق هما أهم ما يميز الخدين وهذا للحصول على وجه مشرق وجميل وربما هذه الصفات هي سر إعجاب (أبو سطيف) بها و كذلك نجد شخصية:

- **نجمة :**

هي جارة (نجم) اليهودية. تفننت الساردة في رسم شكلها في قولها" امرأة قصيرة القامة، ممتلئة، ذات وجه ملاكي ترسم تقاطيعه على بشرة سمراء ناعمة، ويتوجه شعر فاحم السواد"[1]والملاحظ أن حركة الوصف في هذا المقطع جاء على عكس المقطع السابق الذكر، وهو ما يمكن توضحه فيما يلي:

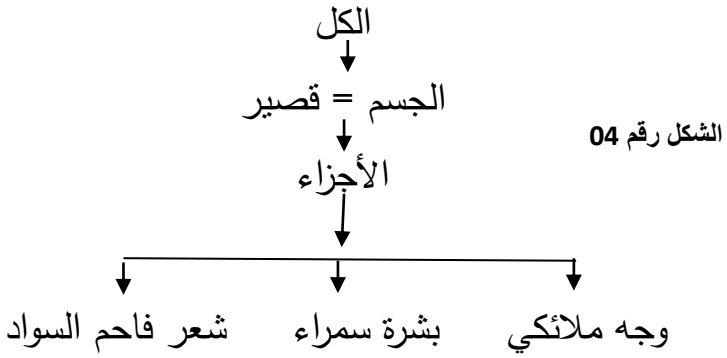

الشكل رقم 04

وما يمكن أن نضيفه على هذا المخطط هو أن الفائدة من نقل الكل ثم الجزء هو توضيح هذه المواصفات للملتقى فبهذه الأجزاء نستطيع أن نفهم الشخصية أكثر، فكلمة وجه ملائكي توحي بطيبة هذه الشخصية فهي إنسانة ذات قلب حنون تحب الخير لغيرها.

لقد اهتمت الساردة أيضا بوصف الشخصيات وصفا بيانيا استعرضت من خلاله لمواصفات الشخصية عن طريق التشبيه ومن هذه الشخصيات التي حظيت بهذا النوع من الوصف نجد شخصية:

- **يمينه:**

هي شخصية تعمل في دكان لبيع الكتب التابع لمتحف(الإحسان) الذي قام نجم بزيارته حيث شبهت الكاتبة لون عينيها بلون العنبر، في المقطع التالي:" كانت امرأة شديدة البياض ذات عينين بلون العنبر، وحركات تبدو مع رشاقتها كما لو كانت

[1] إنعام بيوض، السمك لا يبالي، ص 152.

مبرمجة"[1] و ما نلحظه من خلال هذا المقطع هو توظيف التشبيه لتقريب الشخصية و إيصالها إلى المتلقي بشكل أوضح، والملاحظ دائما أن الكاتبة تصف شخوصها بالاعتماد على لون البشرة ولون العينين الذي اختلف وتباين من شخصية إلى أخرى و هو ما ورد في وصف شخصية:

- **أب نجم:** الذي يشبه نجوم الأفلام الإيطالية لشدة بياضه و لون عينيه وهو ما نجده في "رجلا وسيما، يشبه نجوم الأفلام الإيطالية(...) يخفي عينيه الزرقاوين خلف نظارة شمس سوداء لا يكاد ينزعها، و يهتم باقتناء آخر التقليعات لهندامه"[2]، فالهندام يجلب احترام الناس و تقديرهم و يعطي للشخص مكانته في المجتمع، أما بالنسبة للعيون الزرقاء فتكرارها في الرواية في العديد من المواضيع و ربطتها بالشخصيات الذكورية هو إلحاح على جعلها مقياسا للوسامة، و لقد استطاعت "إنعام بيوض" أن تبرز بواسطة الوصف كثيرا من الجوانب الجمالية في مقاطع عديدة لشخصيات متنوعة على غرار ما قدمناه من قبل نجد شخصية :
- **زوجة نجم:** التي تتقاطع مع أمه في الكثير من الأوصاف كالبشرة، ولون الشعر والعينين ، وهو ما نمثل له بـ :" كانت تشبهها في شقرتها إلى حد ما. قصيرة القامة ومكتنزة مثلها، وجه مستدير ذو تقاطع باهتة"[3]، فبمجرد قراءتنا لصفة (شقراء) يتبادر في أذهاننا الشعر الأصفر والعينين الزرقاوين والبشرة البيضاء، أما فيما يخص شحوب وتغير لون ملامح وجهها يعود إلى عدم اكتراث زوجها بها.

كما حظيت شخصية (ملوكة) أخت (نجم)ببعض المواصفات الخارجية من قبل الساردة في قولها" تمضي ساعات تسلك شعرها الطويل الأجعد المخصب بالحناء(...) كانت ملوكة طفلة عفريتة بعينين عسليتين تميلان إلى الخضرة"[4]، فاستعمال (ملوكة)

---

[1] إنعام بيوض ، السمك لا يبالي ، ص 168.

[2] المصدر نفسه ص 136.

[3] المصدر نفسه، ص 139.

[4] المصدر نفسه ، ص 153.

للحناء، يضعنا أمام تلك العادات والتقاليد التي تلجأ إليها أمهاتنا وجداتنا من أجل تغيير لون الشعر بالاعتماد على الحناء ،وهذه الصفة مكنتنا من تصنيفها ضمن الجيل القديم.

إضافة إلى الجوانب الجمالية التي عرضناها والتي ساهم الوصف في نقلها للقارئ، نجد أيضا الدور الفعال الذي يلعبه الوصف من خلال رصد الجوانب و الحالات النفسية للشخصيات و من بين هذه الشخصيات نذكر:

- **مصطفى :**

هو أب (ريما)، يملك دكانا لبيع الأقمشة أحب (ماري) زوجته الثانية كثيرا لدرجة أنه دخل في حالة ذهول عند موتها ، هذه الحالة التي رسمتها لنا الساردة بواسطة الوصف فاعتمدت على الوصف الخارجي لتقرب لنا حالة المعاناة التي آل إليها بعد فراقه لحبيبته وهو ما نلمسه في: "رجل حليق الرأس، معقوف الظهر على قميص داخلي بال، كان يجلس على حافة. سرير تغلفه ملاءة مهترئة حائلة ووجهه للحائط"[1].كشف لنا هذا المقطع عن الحالة المزرية لمصطفى ،الذي لم يجد أدنى الضروريات اللازمة للمريض فهذه الحالة صورتها من خلال لباسه البالي الرث ،وكل الأشياء المحيطة به من سرير مغلف بملاءة مهترئة الذي لازمه فترة تواجده في المستشفى وكل هذا إجمالا كان سببا في استياء حالته الصحية والنفسية ،وأحد مظاهر هذا الاستياء تقوس ظهره. و في مقطع آخر رصدت لنا الكاتبة الحالة النفسية لشخصية:

- **آرليت** :هي خالة (ريما) التي تعاني هي الأخرى من حالتها الصحية، التي تتدهور يوما بعد يوم "سرير استقلت فوقه هيئة بشرية بشعر أشعث طويل و عينين مبحلقتين التهمتا جل الوجه الشاحب(...) و الهلال الأزرق الداكن الذي ارتسم تحت كل عين من عينيها"[2] فالصفة المنسوبة للشعر(أشعث) توحي بطول فترة عدم تمشيطه و هي برهان على عدم قدرتها حتى إعانة نفسها على أبسط الأشياء بسبب مرضها الذي أثر

---

[1] إنعام بيوض، السمك لا يبالي، ص 109.

[2] المصدر نفسه ، ص 118.

عليها، وهو ما توضحه تلك المواصفات التي ركزت فيها الكاتبة على الوجه الشاحب و الهلال الأزرق الداكن الموجود تحت العينين. فهي أرادت أن تصور لنا المعاناة والآلام التي مرت بها (ريما) في حياتها(مرض، اهمال).

- **أم نقولا:**

اعتمدت الساردة في وصف هذه الشخصية على تقنية المزاوجة بين الماضي و الحاضر لتصف لنا حالة أم(نقولا) التي" كانت صورة للحزن"[1] قبل زيارة (نور) لها و تجلى هذا فيما يلي:" كان منظرها بثوبها الأسود الحائل و شعرها الأبيض الملفوف بشبكة مطاطية، و بنيتها الهزيلة و هي جالسة كل يوم أمام البحر تشارعه..."[2] فالشعر الأبيض تعبير عن كبر السن و الملاءة السوداء هي تعبير عن الحزن و اليأس من الحياة ليبقى ملجأ الشخصية الوحيد هو البحر للتعبير عن مكبوتاتها فالبحر هو الفضاء الوحيد الحافظ للأسرار، فهي هنا تشكو له فراقها لابنها و زوجها و هي أرملة و ثكلى فالبحر هو الوحيد الذي" يسمع أنيننا و نجوانا و شكوانا إنه ملاذ الإنسان فهو الصديق الوفي"[3]. فهو الذي يجعل الشخص ينسى الحزن ليأمل في غد أفضل.

كما اعتمدت الكاتبة في تصوير شخصياتها على عنصر الحوار ، كالذي دار بين (ريما) و(شماس إلياس) عن مشاكساتها الطفولية والمتمثل في وصف شخصية بسام وهو كالآتي: " راحت تقص عليه مشاكساته الطفيفة (...) و المكيدة التي حاكتها لنور كي تبعدها عن بسام الشاب الوسيم ذي العينين الزرقاوين"[4] فهي من خلال هذا الحديث رسمت لنا شخصية (بسام) التي كانت (نور) تحبه و حاولت (ريما) إبعاده عنها، و لعل (نور) من خلال هذا الرسم كانت ترى في العيون الزرقاء وسامة الرجل.

---

[1] إنعام بيوض ، السمك لا يبالي، ص 37.

[2] المصدر نفسه، ص 37.

[3] مهدي عبيدي، جماليات المكان في ثلاثية حنا مينة(حكاية بحار، الدقل، المرفأ البعيد)، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ط 1، 2011، ص 122.

[4] إنعام بيوض، السمك لا يبالي، ص 99.

كما يمكن الإشارة الى تلك الشخصيات التي أتى ذكرها عابرا في الرواية، والتي و بالرغم من أنها لم تلعب دورا كبيرا في العمل الروائي و لم تُذكر إلا مرة واحدة كما في وصف(إسحاق بن بريك): أستاذ اللغة العربية الذي كان يُدرس نجم في ثانوية (مولاي يوسف) حين تذكره " بكرشه النافر الذي يفتح أزرار قميصه مهما كان مقاسه و بعوينته المكبرة المربوطة بسلسلة فضية إلى صدريته"[1]، و من هذا الوصف يمكن القول بأنه شخصية بدينة على عكس أستاذ الرياضيات السيد(آرتو) مثلما رسمته لنا السارد" كان التلاميذ ينعتونه بلقب (خط مستقيم) لشدة نحوله و طولة قامته"[2] فالوصف في هذين المقطعين اللذين عرضناهما أسهما في منحنا صورة عن هاتين الشخصيتين حتى وإن لم يرد ذكرهما كثيرا في الرواية، وهو ما نلمسه أيضا في وصف شخصية(التجاني) وهو زوج (لالا طيطمة) أخت التهامي زوج أم نجم " كان التجاني رجلا شديد السمرة ذا وجه مستدير دقيق التقاطيع مربعا ساقيه فوق لحيفه منجدة محاطة بلفائف الخيوط(...) وراءه رزم من الأقمشة"[3]، فبوصف هذه الشخصية عرفتنا على طبيعة عمله (بائع أقمشة).

ركزت الكاتبة عدستها على البعد الخارجي، فبين الحين والآخر كانت تذكر الشخصيات بوصفها الخارجي خاصة لون العينين، ولون البشرة ، والساقين وغير ذلك من الأوصاف التي أنيطت بها شخصياتها ،رئيسية كانت أم ثانوية بل وحتى العابرة .

2-الوصف الداخلي :

هذا الوصف لا نجده بكثرة مقارنة بالخارجي، إذ نعني به الوقوف عن أهم المشاعر والأفكار والأحاسيس التي تجعل المتلقي يتعرف على الشخصية من الناحية الداخلية وخاصة النفسية، والكشف عما يدور في تفكيرها ومن هذه المقاطع نذكر: وصف ما يدور في تفكير (ماري) من حنين للقاء أهلها واشتياقها لهم والمتمثل في :" كان

---

[1] انعام بيوض ، السمك لا يبالي ، ص 171.

[2] المصدر نفسه، ص 171.

[3] المصدر نفسه، ص 172.

كل خبر يحمله لها(حنا) عن أهلها يزيد من غربتها و يضاعف من حنينها"[1]والواضح أن (ماري) تعيش حالة انفصال عن أهلها ولهذا يبدو عليها الاشتياق و الحنين وهو ما أثر كثيرا على صحتها حيث كانت (ماري) "تحضر جلسات السمر الصباحية. لكنها كانت كثيرة الشرود. غائبة ،وأصبحت شيئا فشيئا تمعن في الغياب، ربما كان ذلك بسبب نحولها المتزايد، وشحوبها الذي زاد من بياض بشرتها"[2] (فماري) من خلال هذا المقطع شخصية تعاني من انفصالها عن أهلها وهو ما جعلها تغيب عن عالمها دائما وهو ما تسبب في نحول جسدها الذي بات محتاجا للراحة و أفقدها نصف جمالها .

أكدت الكاتبة ذلك عندما قالت: أنها (شاحبة)، بسبب المعاناة النفسية التي تختزنها من غربة أهلها و حنينها للقائهم، و هذا ما كان يؤلم(ريما) عندما كانت ترى أمها و هي في تلك الحال و قد تأثرت كثيرا برؤية صحتها تتدهور يوما بعد يوم ، حيث" كانت تشعر بأن أمها بدأت تهرب من قبضتها، و بأن الساعة الرملية قد قلبت لتوها"[3]لتموت بعدها بحرقة الغربة الأسرية، ففراق من نحب يترك أثرا على حياتنا كما تركته (ماري) عندما ماتت على (ريما) التي تأثرت بفراقها لدرجة أنها أصيبت بصدمة نفسية جعلتها لم تتكلم لمدة طويلة ولم تجد ما يشفي ألم فراقها سوى الكتابة و جعلت منها ملاذا للتعبير عن مشاعرها، لأن الكتابة هي التي تجعلنا نعبر عما يدور في تفكيرنا من أحاسيس ومشاعر ، و قد وصفت لنا الروائية حالتها في المقطع التالي:"... كان يخشى عليها ، وهي الكتلة الهشة من المشاعر الرقيقة، من أن يزيد ذلك من حزنها و يعمق من انطوائها الذي بدأ يقلقه في الفترة الأخيرة..."[4].فـ(ريما) من خلال هذا المقطع كتلة من المشاعر الرقيقة التي تتلخص في عبارة مفادها أنها مرهفة الإحساس إلى درجة أنها لا تستطيع أن تقاوم نسمات

---

[1] إنعام بيوض السمك لا يبالي ، ص 69.

[2] المصدر نفسه ، ص 68. 69.

[3] المصدر نفسه، ص 70.

[4]المصدر نفسه ، ص 106.

الحزن التي تداعب مشاعرها الفينة بعد الأخرى وربما هذا يعود أساسا إلى فقدانها لأمها ودخول أبيها إلى مستشفى الأمراض العقلية.

والواضح من هذه المقاطع المقدمة أن الصفات السيكولوجية الداخلية هي التي تقرب الشخصية أكثر فلا يمكن للمظاهر الخارجية أن تعبر وحدها عن حقيقة الشخصية لذا لابد أن نفهمها ونتعمق في بواطنها لفهم ملامحها الخارجية، فالساردة قامت بالتوغل داخل نفسية الشخصيات لتكشف عن خباياها وعما يدور في تفكيرها وهذا رغبة منها في تقديم الشخصية للقارئ وتقريبها له، ومن أمثلة الوصف الداخلي أيضا ما سنورده في المثال التالي: "كان "نبيل" شخصا يتمتع بكل الخصال الحميدة ونقيضها في آن. كريما وبخيلا ودودا ومشاكسا، متحررا ومحافظا، ذا ذكاء يميل إلى المكر. هاجسه الوحيد هو ألا يؤخذ كمغفل. شديد الريبة من الآخرين حتى الأطفال، كان يرى فيهم شياطين في طور التكوين"[1].

فهذه الصفات المنتقاة لشخصية نبيل (زوج نور) نفهم من خلالها أنه يمتاز بالتناقض في حياته، فصفة الشك والريبة هي أكبر صفة مهدمة للعلاقات بين الأفراد وخاصة الزوجية، ولعلها هي سبب فراقه (بنور)والواضح أن بواطن الشخصية لا تتضمن تجاربه فقط ، وإنما ما هو مشترك بينه وبين الآخرين.

ثالثا :وصف الأشياء و علاقتها بالشخصية:

1-تعريف الأشياء:

لم تكن للأشياء مكانة كما للأمكنة والشخصيات "وبخاصة في الروايات الكلاسيكية ومع ظهور الرواية الجديدة في فرنسا بدأ الاهتمام واضحا بوصف الأشياء في أعمالهم الروائية"[2] .

---

[1] إنعام بيوض ، السمك لا يبالي ، ص 46.

[2] فيصل غازي النعيمي، جماليات البناء الروائي عند غادة السمان، دراسة في الزمن السردي، دار مجدلاوي للنشر الأردن، ط 1، 2013.

إن وصف الأمكنة والأشخاص لا يمكن أن يتم بدقة إلا من خلال ربط القاص لها بهذا العنصر المهم الذي يلعب دورا مهما في العمل الروائي، فهي تعد عنصرا متمما وملازما لكل من المكان ، و الشخصيات" فكل قطعة أثاث في الغرفة مرتبط بذكرى في ذهن صاحبها، و هو يدل على سمة الشخصية، إن الأثاث هو التعبير عن الشخصية الروائية (...) و الأثاث لايدل على شخصية صاحبه فحسب"[1] و إنما "هو مكون أيضا من جملة أشياء محيلة على خلفيات طبقية أو ذوقية"[2] فالأشياء تتباين بتباين نوع الشخصية فمثلا الشخصية البسيطة قد تكون ذات طبقة غنية إلا أن الأثاث ينم على البساطة و العكس بالنسبة للشخصية المتفاخرة و المختالة، كما يمكن أن" تكون تعبيرا عن غرق الإنسان في عالم المادة(....) و مقياسا لرقيه الاجتماعي أو لمنزلته الطبقية أو وسيلة لإبراز وعي الشخصية و باطنها"[3] " فالروائي عندما يرسم لنا الأثاث يريد بذلك نقل الوضعية الدقيقة للشخصية وعن طريقه يمكن تأريخ الأسرة التي تملكه (...)وهكذا يبدوا أن للأشياء تاريخا كما الأشخاص و الطبقات"[4] فالأشياء بمثابة مرآة عاكسة لمالكه. "وبفضل توارده المستمر، والملح على القارئ قد يصبح معبرا عن حالة روحية نتيجة توظيفه داخل سياقات دالة عن اضطراب أو راحة الشخصية"[5]، فالإلحاح في تصوير الأشياء يرسخ لدى القارئ فكرة عن الحالة التي تعيشها الشخصية فيؤثر عليه ويجعله يتفاعل معه.

2-وصف اللباس:

لقد لقي وصف اللباس العناية المطلوبة في الرواية لارتباطه الوثيق بالشخصية حيث استطاعت الساردة أن تصور لنا من خلالها أوضاع الشخصيات بدقة لارتباطها بها "فهي تدخل معه في علاقة حميمية و من ثمة فإنها تتحول إلى نافذة من خلالها تطل إلى

---

[1] محمد عزام، فضاء النص الروائي، ص 117.

[2] صادق قسومة ، طرائق تحليل القصة، ص 201.

[3] المرجع نفسه ، ص 201.

[4] محمد عزام، فضاء النص الروائي، ص 117.

[5] عبد اللطيف محفوظ، وظيفة الوصف في الرواية، ص 84.

عالم الشخصية الداخلي"[1] إذ أن اللباس في الرواية يختلف باختلاف الشخصية ووضعها المعاش باعتبار أن "اللباس من بين الأشياء الدالة على نفسية الشخصية وواقعها الاجتماعي و درجة ميولها إلى التأنق"[2] فهو الذي يصور لنا الشخصية خلاله عملت الساردة أن تصور لنا الاختلافات الموجودة بين ألبسة الشخصيات باختلاف طبائعها و كذا نقل اللباس الدمشقي الذي نستشفه في وصف اللباس الذي يرتديه (جد نور) والمتمثل في " ....لفة حريرية يتحزم بها فوق قنبازه الأبيض اليقق و يلبس معطفه الكحلي الغامق الذي يصل إلى كاحله، ويضع طربوشه الأحمر القاني"[3].

فالقارئ لهذه المقاطع حتى و إن لم يتعرف على المكان الذي تعيشه الشخصية فيمكن له أن يفهمها من خلال هذا اللباس الذي ينقل لنا تقاليد المجتمع الدمشقي ،فالقنباز والطربوش الأحمر هي نوع من الألبسة التي كان يرتديها الأغنياء و المثقفون و كبار العائلات ،و الذي لهم مكانة اجتماعية مرموقة عند الأهالي و هذا إن دل على شيء فإنما يدل على الطبقة الاجتماعية الراقية لعائلة (نور) و المكانة المرموقة لجدها ، أما بالنسبة للمعطف الكحلي الغامق فهو دلالة على الأناقة و الشهامة التي يمتاز بها رجال دمشق، و مثل هذا الوصف نجده في مقطع آخر عندما تخيلت (نور) هيئة نجم باللباس التقليدي الدمشقي الذي يناسب قامته وهو ماصورته فيما يلي:" تخيلت تلك البنية المنتصبة أمامها بقنباز أبيض يقق (كبلوزته) تحزمه لفة حريرية لماعة، و معطف كحلي غامق و طربوش أحمر"[4]، فلون القنباز الأبيض يحيل إلى الإسلام، و كما أن المحيط أثر على نوعية اللباس حتى مع اختلاف الديانات و قد اتضح ذلك في هذا المقطع القصير "التحفت بملاءة سوداء"[5] فالملاءة هي عباءة نسويه شامية قديمة تُلبس عند الخروج من البيت .

---

[1] عبد اللطيف محفوظ ،وظيفة الوصف في الرواية ، ص 80.

[2] المرجع نفسه ، ص 85.

[3] إنعام بيوض، السمك لا يبالي، ص 17.

[4] المصدر نفسه ، ص 59.

[5] المصدر نفسه، ص 25.

ومن الملاحظ أن طريقة تصوير الساردة للباس الدمشقي، سمحت للقارئ أن يعيش في ذلك المحيط فعلا ،ولم تقتصر على هذا فقط ،و إنما جعلته يحمل دلالات متعددة لربطها بالألوان إذ تتحول من مجرد أشياء موجودة في الواقع إلى رموز و إيحاءات ،وتختلف هذه الدلالة باختلاف النفسية الداخلية للشخصية من مثال:

وصف لباس(جدة ريما) الذي ربطته باللون الأسود في قولها " جلست امرأة متقدمة في السن بلباس أسود"[1] و في مقطع آخر تقول:" تنظر إلى جدتها بوشاحها الأسود جاثية تصلي بخشوع"[2] ففي هذين المقطعين نلاحظ ارتباط لباس(أم جورج) باللون الأسود و كما هو معروف أن هذا اللون يحيل إلى "الحزن و الألم والموت كما أنه رمز الخوف من المجهول و الميل إلى التكتم"[3]، فحزنها يكمن في تشتت أفراد عائلتها ،والشعور المكبوت الذي انفجر بوفاة ابنتها (ماري)، وهذه الدلالة نلمسها أيضا في وصف لباس (أم نقولا) في قولها:" كان منظرها بثوبها الأسود الحائل .."[4] فوصف (أم نقولا)بهذه الثياب لكونها هي الأخرى تعاني من حزن فراقها لزوجها و ابنها و بالتالي أدت الألبسة وظيفة توضيحية من خلال نقلها و تجسيدها لأدق حالتها النفسية .

إضافة إلى ألوان الملابس و أشكالها التي تعطي انطباعا على نفسية الشخصية فإن بعض منها لها دورا في إبراز الطبقات الاجتماعية و يتأكد ذلك انطلاقا من التصوير المنصب على لباس زوج خالة (ريما) فهو" رجل في العقد الخامس يلبس بذلة سوداء على قميص حريري بياقة منشّاة و كأنه على أهبة الخروج لحفلة رسمية"[5] فالقميص الحريري لا يعبر إلا عن الترف و البذخ الذي يعيشه زوج (آرليت) ،غير أن الألبسة لا تقف عند هذا الحد و إنما تتعمق لتبلغ إلى تحديد السلوك الفردي و تعيين نمطية و نوعية تفكيره و هذا التفكير يختلف باختلاف الجنس ،ولعل اللباس بالنسبة للمرأة هو إظهار لأنوثتها و

---

[1] إنعام بيوض السمك لا يبالي ، ص 80.

[2] المصدر نفسه ، ص 91.

[3] أحمد مختار عمر، اللغة و اللون، عالم الكتب للنشر، القاهرة، ط1، 1986، ص 186.

[4] إنعام بيوض، السمك لا يبالي ، ص 37.

[5] المصدر نفسه ، ص 117.

هو ما يظهر في وصف لباس (سميحة) التي كانت "تلبس التفريعة الوردية"[1] فهذا اللون هو لون الأنوثة و إبانة لجمال الجسم، فسميحة هي شخصية جميلة ولعل الساردة أرادت أن توضح و تبين لنا مدى جمالها، و كما أعطت للملابس دورا لإظهار بعض مفاتن الجسم و ذلك بقصد إثارة الآخر و هو ما يتضح أيضا في الفستان الذي ارتدته(نور)" السماوي الفضفاض"[2]فاللون السماوي " يعكس الثقة و البراءة و الشباب"[3] و هو اللون الذي ربطته الروائية بلباس(نفيسة) و مزجته باللون الأسود فهي شخصية واثقة من نفسها جدا ،أما اللون الأسود الذي أكسبته للمعطف يمنح بعض الشيء رشاقة الجسم و يساهم في تغيير شكله متمنية أن تعيد الأيام إلى الوراء و توقف الزمن في فترة شبابها من أجل أن تكسب محبة (نجم) .

ولعل العلاقة الفاشلة التي مر بها (جورج)انعكست على نشاطه و حياته و هذا ما أوحي إليه اللباس الذي ظهر به في المقطع التالي :" رجل كهل أصلع مكتنز ملفوف بعباءة رهيفة بنية اللون"[4] فالعباءة هي لباس لا يلبسها الرجال في أغلب الأحيان إلا في فترات الراحة و قلة النشاط و هو ما حمله اللون البني من دلالات إذ وفقت الساردة في اسقاطه على هذا اللباس و على غرار ما سبق فهناك أيضا وصف آخر للباس فيما يلي: " عندما خرجت أمامه بفستانها الوردي طلب منها نزعه، و اقترح عليها، الفستان القطني الأبيض المشبك بخيوط ملونة معقودة على شكل شرائط صغيرة متناثر بتنسيق هندسي منتظم على تنورة الفستان . كان ثوبا رائعا ، آخر ما اشترته لها أمها"[5] فطلب(خال ريما) تغيير لباسها و ارتداء فستان أبيض دليل على نيته الطيبة لتغيير حياتها و بدء صفحة جديدة و نسيان أحزان الماضي، وتصويره بخيوط ملونة هو دليل على الحياة المزهرة و مدى اهتمام (ماري) في اختيار لباس ابنتها أملا منها أن ينعكس هذا على

---

[1] إنعام بيوض السمك لا يبالي ، ص 66.

[2] المصدر نفسه ، ص 195.

[3] أحمد مختار عمر، اللغة و اللون ، ص 183.

[4] إنعام بيوض، السمك لا يبالي، ص 80.

[5] المصدر نفسه ، ص 78.

حياتها إيجابا و تكرر ذكر هذا في:" كانت تلبس تنورة طويلة بلون رمادي يميل إلى الخضرة، و سترة قطنية خشنة حيكت يدويا تعلوها رسوما بدائية مطرزة بخيوط متعددة الألوان"[1] فجملة حيكت يدويا توحي بتمسك عائلة (ريما) بالعادات و التقاليد وربما يدل أيضا على حب أمها الشديد لها واهتمامها بها ، وكما أننا لا يمكننا الحديث عن وظيفة وصف اللباس دون أن نعرج إلى الوظيفة الأساسية التي يتميز بها و هي وظيفة الحماية و هو ما نورده في ما يلي: " غطت رأسها و كتفها بالوشاح الصوفي العريض الذي حاكته لها ماري قبل وفاتها"[2]ومن الملاحظ لا يقتصر دور وصف اللباس بشكله ولونه على الحماية و السترة بل يتعدى ذلك فقد يصبح مرآة للشخصية و سلوكها و حالتها النفسية و الاجتماعية و كذلك الطبقية و قد يعبر أيضا عن الحقبة التاريخية للرواية.

خلاصة لهذا الفصل، بعد التعمق في رواية "السمك لا يبالي" تبين لنا دور الوصف الداخلي والخارجي، والأشياء في بناء الرواية من خلال تفاعلها مع الأحداث والأمكنة وكل ما يحيط بها من أشياء، فقد عمدت الساردة على الوصف لنقل أدق جزئياتها، وربط الوصف الداخلي بالخارجي ليقينها بضرورة تلازم هذين البعدين في تقريب الشخصية للقارئ.

---

[1] إنعام بيوض، السمك لا يبالي ، ص 189.

[2] المصدر نفسه، ص 101.

الفصل الثاني

وصف المكان في رواية السمك لا يبالي

أولا: تعريف المكان.

ثانيا: وصف المكان في الرواية.

1- **الأماكن المغلقة**

2- **الأماكن المفتوحة**

ثالثا: المكان وعلاقته بالأثاث.

أولا: تعريف المكان(lieu):

يكتسب المكان في البناء السردي أهمية كبيرة ،فهو من أهم العناصر المشكلة له لما يحويه من أحداث وشخصيات تتحرك بداخله، ولقد حظي باهتمام كبير لدى الدارسين والمنظرين واختلفت زوايا النظر إليه،وانعكس ذلك على المفهوم وأصبح متعددا تبعا لاستخدامه لكن رغم ذلك أجمعوا على أن " المكان مكونا محوريا في بنية السرد،بحيث لا يمكن تصوير حكاية بدون مكان ، فلا وجود لأحداث خارج المكان، ذلك أن كل حدث يأخذ وجوده في مكان محدد وزمان معين"[1]، وبهذا فإنه يلعب دورا أساسيا لا يمكن الاستغناء عنه "فهو الخلفية التي تجري فيها أحداث الرواية ، وهو عنصر فاعل في هذه الأحداث "[2]ولا يمكن لهذه الأخيرة أن تسير إلا بتحريك الشخصيات داخل المكان إلا أنه "يضمن التماسك البنيوي للنص الروائي من حيث جملة العلائق النصية التي ينسجها مع قوى النص (الزمن،الشخصية،رؤية...) "[3]،"ولا نبالغ إذا قلنا:أن المكان يعد في مقدمة العناصر والأركان الأولية، التي يقوم عليها البناء السردي سواء كان هذا السرد قصة قصيرة أم قصة طويلة، أم رواية"[4].

فهو يستطيع أن يعبر عن الشخصية "يأخذ منها، ويعطيها، فالشخصية التي تعيش في الجبل يطبعها الجبل بطباعه، فيظهر أثره في طباع السكان وسلوكهم ، والشخصية التي تعيش في المدن تطبعها المدن بطابعها ويتجلى أثر ذلك في سلوكها أيضا "[5].فالمكان ليس الخلفية التي تجري فيها أحداث الرواية، فحسب وإنما هو المعبر عن الحالات

---

[1] محمد بوعزة ، تحليل النص السردي، ص99.

[2] عبد الرحمان محمد محمود الجبوري، بناء الرواية عند حسن مطلك، ص63.

[3] حميد عبد الوهاب البدراني، الشخصية الإشكالية مقاربة سيسيوثقافية في خطاب أحلام مستغانمي الروائي، دار مجدلاوي، ط1 ،2013، ص44.

[4] إبراهيم خليل، بنية النص الروائي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1 ،2010، ص131.

[5] محمد عزام، شعرية الخطاب السردي، ص70.

النفسية و سلوكات الإنسان فهو يستطيع أن يعبر عن ألامه وأحزانه وأفراحه والعنصر الذي ينقل هذه الجزئيات بدقة هو عنصر الوصف باعتباره"الأداة الأساسية لتصوير المكان وبنائه وتجسيد المشهد الخارجي في لوحة مصنوعة من الكلمات "[1]ويسلط الضوء على أدق الجزئيات و " تجعلنا نفهم الأسرار العميقة للشخصية الروائية فهو وصف لا يقتصر على الإطار الجغرافي الذي تقع فيه الحوادث،وإنما يؤدي دورا حيويا في مستوى الفهم والتفسير والقراءة النقدية " [2]،" والكاتب عندما يصف، لا يصف واقعا مجردا لكنه واقع مشكل تشكيلا فنيا، ومن الواضح أن الوصف للمكان ليس غاية في ذاته وإنما هو وسيلة لخلق الفضاء الروائي الذي لا يتحقق إلا من خلال حركة الشخصيات في المكان وتفاعلها معه "[3] .

ومن هنا فإن المكان هو الإطار والخلفية التي تدور فيها الأحداث وكما أنه المرآة العاكسة للحالات النفسية التي تعيشها الشخصية و سلوكاتها فهو يستطيع أن يعبر عن آلامه وأحزانه وأفراحه ، وينقل لنا أيضا الاختلاف الموجود بين الطبقات.

ثانيا: وصف المكان في الرواية

من خلال قراءتنا لرواية "السمك لا يبالي" يتبين لنا اعتماد الساردة على مجموعة متنوعة من الأمكنة التي انقسمت إلى مفتوحة ومغلقة وعمدت الكاتبة إلى إسقاط مجموعة من الصفات ترمي من خلالها لرسم وتصوير حركة الأحداث وإظهار دور الشخصيات في تلك الأمكنة وإبراز العلاقة بينها وبين الشخصيات في العمل الروائي، فمن بين تلك الأمكنة التي وردت في الرواية نجد التالي:

---

[1] فارمرز ميريزايي وآخرون، جماليات اللغة السردية عند ميسون هادي دراسة الوصف في" حلم وردي فاتح اللون"نموذجا،مجلة الجمعية العلمية الإيرانية للغة العربية وآدابها، ع 19، 2011.ص61.

[2] إبراهيم خليل، بنية النص الروائي، ص131.

[3] فارمرز ميريزايي وآخرون، جماليات اللغة السردية عند ميسون هادي دراسة الوصف في" حلم وردي فاتح اللون"نموذجا، ص 61.

1/ الأماكن المغلقة:

هو ذلك المكان المحدود الذي يشكل فضاء ضيقا لما يتميز به من خصوصية " واحتضانه لنوع معين من العلاقات "[1]،وكما " أنه يمثل غالبا الحيز الذي يحوي حدودا مكانية تعزله عن العالم الخارجي ويكون محيطه أضيق بكثير بالنسبة للمكان المفتوح فالمكان المغلق هنا يتميز بالحدود الضيقة "[2] وبنوع من الانسداد." هو مكان العيش والسكن الذي يؤوي الإنسان و يبقى فترات طويلة من الزمن سواء بإرادته أم بإرادة الآخرين لهذا فهو المكان المؤطر بالحدود الهندسية ،والجغرافية ،ويبرز الصراع الدائم القائم بين المكان كعنصر فني ،وبين الإنسان الساكن فيه فلا يتوقف هدا الصراع إلا إذا بدا التآلف يتضح أو يتحقق بين الإنسان والمكان الذي يقطنه " [3]،ويظهر هذا النوع بكثرة في الرواية وحظي بالكثير من الأوصاف والمتمثلة فيما يلي :

1-1- البيت:

لقد أولت الساردة أهمية كبيرة في وصف مكان (البيت) في الرواية ولقي الحظ الأوفر من اهتمامها فجاء وصفه في مساحات كبيرة خصصتها له في روايتها باعتباره " يجسد قيم الألفة بامتياز"[4]، " ومظاهر الحياة الداخلية التي تعيشها الشخصيات وذلك لأن بيت الانسان امتداد له "[5]،" فإنه يمثل وجوده الحميم ويحفظ ذكرياته ويشكل البيت(...)

---

[1] خالد بن سعيد عيقون، التحليل البنيوي الشكلاني لجماليات النص السردي (الوظائف،الشخوص ،الزمن،الصور، الدلالات) ، مطبعة الزيتونة، تيزي وزو،2004،ص82.

[2] نوال بلجراف وآخرون، شعرية الزمن والمكان في رواية تواشيح الورد لـ "منى بشلم"، مذكرة ماستر ،أدب حديث ومعاصر،جامعة الحاج لخضر،باتنة،2014،ص25.

[3] مهدي عبيدي ، جماليات المكان في ثلاثية حنا مينة (حكاية بحار،الدقل،المرفأ البعيد)،ص84.

[4] محمد بوعزة، تحليل النص السردي، ص106.

[5] حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي،(الفضاء،الزمن،الشخصية)،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء،المغرب، ط2 2009،ص43.

إذا مستودع ذكريات الإنسان "[1]،"وعندما نبتعد عنه نضل دائما نستعيد ذكراه ، ونسقط على الكثير من مظاهر الحياة المادية ذلك الإحساس بالحماية والأمن الذين كانا يوفرهما لنا البيت" [2]،ويبقى البيت المكان الذي يمنح الإنسان الشعور بالراحة والطمأنينة "فإنك إذا وصفت البيت وصفت الإنسان "[3]

إن هذا الارتباط الذي نلمسه بين المكان والشخصية فإن وصف فضاء البيت في هذه الرواية قد تعدد بتعدد الشخصيات في العمل الروائي و سنعرض تفنن الساردة في تصوير هذا النوع من الأمكنة (البيت) فيما يلي :

- **البيت الدمشقي** : يشكل هذا المكان المركز والمحور الذي ركزت عليه الرواية عدستها لأنه مرتبط بالبطلة (نور)، فهو البيت الذي ورثته أمها (هيام) من أبيها ، يقع في (حي الصالحية)، فقد وقعت فيه الكثير من الأحداث، وكان مسرحا ينقل لنا أفعال الشخصيات و لعب الوصف دورا كبيرا في تصوير أبعاد هذا المكان فهو "يستطيع أن يقدم لنا معطيات وتحديدات تفيد في التعرف على المدى الإقليدي الذي يتشكل فيه فضاء البيت "[4]حتى يحسب القارئ وكأنه في ذلك البيت ، وهو مانلمسه في المقطع التالي :"بيت رحب بمجرد أن تغلق ورائك بابه الخشبي السميك المسمر، وتلج إلى الردهة المظلمة أو الدهليز حتى ينقطع لغظ الحارة "[5]،ومن خلال هذا المقطع نقلتنا الروائية من عالم الرواية إلى عالم الواقع " حتى نعيش حقا في عالم واقعي وليس عالم متخيل" [6]

---

[1] محمد بوعزة ،تحليل الخطاب السردي ، ص106.

[2] غاستون باشلار ، تر: غالب هلسا ،جماليات المكان ،المؤسسة الجامعية للدراسات للنشر والتوزيع، بيروت ،لبنان ،ط2، 1984 ، ص09.

[3] حسن بحراوي ، بنية الشكل الروائي،ص43.

[4] المرجع نفسه،ص44.

[5] إنعام بيوض، السمك لا يبالي، ص113.

[6] سليم بتقة، تلمسات نظرية في المكان وأهميته في العمل الروائي،مجلة المخبر، أبحاث في اللغة العربية والأدب الجزائري،جامعة محمد خيضر ،بسكرة،الجزائر، ع 06 ، 2010، د ص .

وقد تكررت جملة (البيت الرحب) في مقطع آخر من الرواية وربما هذا تأكيدا منها على شساعة هذا البيت " البيت الرحب ذي الطابقين والحديقة التي تفننت في غرس أشجارها وأزهارها بشكل يجعلها مزهر في كل فصل "[1] وما نلمسه من خلال هذا المقطع أن هذا البيت مكان يبعث الإحساس بالسكينة والحماية كما سبق وأن ذكرنا.

لقد قضت (نور) طفولتها في هذا البيت مع صديقتها (ريما) ولعله يحمل أجمل الذكريات بلا منازع وبقيت تحمل تلك الذكرى حتى في أثناء رحيلها إلى مدينة الجزائر "فالبيت القديم بيت الطفولة، هو مكان الألفة ومركز تكييف الخيال، عندما يبتعد الإنسان عنه يظل في ذاكرته، يستعيد ذكراه ويحن إلى العودة إليه"[2]،ومثلما تبقى الذكرى جميلة تبقى الذكرى الأليمة في البيت ، ففي البيت الدمشقي تتذكر (نور) ضرب أمها لها ، تلك الحادثة المؤلمة التي تركت لها أثر في نفسيتها وذلك في : " غرفة الطابق العلوي التي تطل منها نافذتان يتوسطهما باب يفتح على فناء واسع " [3]، وكما عرضت لنا الساردة التأثير المتبادل بين المكان والشخصيات والحالة التي آل إليها البيت الدمشقي بعد رحيل عائلة (نور)إلى الجزائر وهو ما نلمسه في "بدا البيت الدمشقي العتيق حزينا وكأنه يودع آخر سكانه .وقد تناثرت الرزم والصناديق والحقائب المربوطة بالحبال لمنع تفتقها حول البحيرة التي سكت خريرها ، وعكست مياهها الراكدة أغصان شجرة النارنج المترنحة تحت ثقل ثمارها البرتقالية "[4]، فهذا السكون الذي خيّم على أرجائه إنما هو دليل على ارتباط هذا المكان ،والعناصر الموجودة فيه بساكنيه وتأثرها بآماله وأوجاعه وسعادته ، فركود المياه وسكوت خريرها يعبر عن فراقها لأهل البيت ،"وهذا يشير بدوره إلى أن المكان لا

---

[1] إنعام بيوض، السمك لايبالي، ص48.

[2] محمد بوعزة ، تحليل النص السردي ، ص106.

[3] إنعام بيوض، السمك لايبالي، ص50.

[4] المصدر نفسه، ص97.

يوظف في النصوص الروائية بشكل محايد بل إنه يستمد بعض ملامحه من ملامح من يشغلوه ، ويؤثرون فيه ويتأثرون به " [1]

- **شقة نور:**

بعد أن "تطورت الحياة العربية أصبح يطلق على البيت الآن شقة ولم يعد هناك فرق بين البيت والشقة إلا من حيث الموقع "[2]،فشقة(نور)تقع في الجزائر بعد رحيلهم من البيت الدمشقي، فالوصف هنا لا يركز على البيت ككل وإنما بـجزء من أجزاء هذا البيت وهي غرفة الجلوس ،فالساردة لم تصف البيت على أنه مجرد مكان فقط ،وإنما نقلت لنا من خلاله حالتين لشخصية (نور) ، الحالة الأولى : هي أنها شخصية تحب التنظيم والنظافة وهو ما نورده فيما يلي:"أخذت الرسالة واتجهت إلى غرفة الجلوس، كانت الغرفة مرتبة ونظيفة كباقي أرجاء الشقة (...)ذات أثاث بسيط لكنه ينم عن ذوق رفيع"[3]،فنظافة وتنظيم الغرفة تعني نظام الشخص ، وبساطة الأثاث هي بساطة الشخصية ،والحالة الثانية أن وصف هذا البيت نقل لنا طبيعة عمل (نور) على أنها فنانة تشكيلية في المقطع التالي:"كل الجدران مغطاة تقريبا بلوحات فنية ، بعضها ذو قيمة معتبرة،وقد علقت بطريقة تجعل من الحائط لوحة كبيرة بتكوين مدروس"[4] فالجدران المغطاة بلوحات فنية ينم على حب (نور) الشديد للرسم إذ جعلت منه معبرا عن حياتها وناقلا لما يدور في تفكيرها .

- **بيت أم جورج (جدة ريما):**

هو البيت الذي تعرفت عليه (ريما) بعد وفاة والدتها (ماري) و ورد وصف هذا البيت في المقطع التالي: " فناء مربع تحف به النباتات والورود من كل جانب. انتصب فوق الأضلع الثلاث للمربع بناء حجري من طابقين، يصل العلوي منها زوج من السلالم

---

[1] رفقة محمد دودين، خطاب الرواية النسوية العربية المعاصرة،منشورات أمانة عمان الكبرى،2007،ص327.

[2] شاكر نابلسي، جماليات المكان في الرواية العربية، دار الفارس للنشر والتوزيع،عمان، ط1،1994 ، ص142.

[3] إنعام بيوض، السمك لا يبالي، ص47.

[4] المصدر نفسه، ص47-48.

المتوازية ذات درابزين حديدي مخرم بأشكال هندسية (...) توقفوا أمام بحيرة كبيرة فائشة برزت من تحت أوراق الأشجار العائمة فوقها ومضات ذهبية خمنت من رشاقة انسيابها بأنها أسماك صغيرة مذهبة. قبالة البحيرة "[1] فربما الساردة رسمت لنا البيت بدقة وسلطت الضوء على جزئيات وخبايا هذا البيت لتنقل لنا طبيعة المكان الذي انتقلت إليه (ريما) للعيش فيه، وأيضا جعلت من القارئ يتخيل نفسه محل الشخصية ،وكما أن "المساحة الخضراء وحضورها كخلفية للبيت لا يجعلها تنهض بوظيفة تزينية أو تلبي تصويرا فنيا فحسب، وإنما ستأتي متضمنة لكثير من الدلالات الذهنية والأيديولوجية التي ستخبرنا عن الوشائج القائمة بين محيط الإنسان ووعيه بالمظاهر الطبيعية وما تولد لديه من مشاعر البهجة والألفة " [2]

- **بيت الخالة آرليت (خالة ريما):**

فهو بيت يمتاز بشساعته الكبيرة وفخامته، لكنه ضيق ومحصور على نفس (آرليت) بسبب تدهور صحتها يوم بعد يوم،فهذه الفخامة نلمسها من خلال وصف الجانب الخارجي للبيت وهو يتمثل في المقطع التالي:" ضغطت على جرس الباب الحديدي الكبير المخرم بأشكال باروكية وراء زجاج معتم"[3].

إن الاختلاف وتنوع الوصف من مكان لآخر في العمل الروائي يمكن أن يعود إلى اختلاف الفروق الاجتماعية، وهو الذي يعكس الحالة الاجتماعية التي تعيشها الخالة وزوجها ، فهو رجل ذو ثروة كبيرة "فالبيوت تعبر عن أصحابها وهي تفعل فعل الجو في نفس الآخرين الذين يتوجب عليهم أن يعيشوا فيه "[4] ونلمس ذلك من خلال قولها "وقادها إلى بهو فسيح وكأنه بهو قصر لكثرة التحف النادرة المزروعة بين أركانه واللوحات

---

[1] إنعام بيوض، السمك لا يبالي،ص79-80.

[2] حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي،ص52.

[3] إنعام بيوض، السمك لا يبالي، ص 116.

[4] حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي،ص 143.

الأصلية المعلقة على جدرانه ، والثريات البلورية المثقلة بالبذخ التي تتدلى من سقفه"[1] فالصفات المتوالية لهذا البيت من تحف نادرة ولوحات أصيلة ، والثريات البلورية المثقلة بالبذخ توحي على الفخامة ودليل على ثراء ساكنيه ،"فبيت الإنسان مرآة له ، ولطبقته وذوقه ومستواه ، ولذلك من الخطأ النظر إلى البيت كركام من الجدران ،والأثاث يمكن تطويقه بالوصف الموضوعي،والتركيز على مظهره الخارجي وصفاته الملموسة مباشرة دون النظر إلى الدلالات الكامنة فيه" [2]

- **بيت جد نجم في تلمسان:**

هو البيت الذي انتقلت إليه عائلة نجم للإقامة فيه، فوصف هذا المكان يكشف لنا عن الوضع الاجتماعي كما سبق وأن ذكرنا، فهذا البيت على خلاف ما لاحظناه في بيت الخالة (آرليت) فقد أسهمت الساردة في وصفه وهو ما نستشفه في المقطع التالي:" كان البيت كما تركه، يمتد على طول كل ضلع من أضلع فنائه الأربعة غرفة طويلة عالية السقف، تنفتح على وسط الدار بباب تحيط به نافذتين ويوصل درج قرب دهليز الباب الخارجي إلى الطابق العلوي، حيث كانت توجد غرفة جدته وغرفة حماتها وشرفة فيها مطبخ احتياطي "[3].

وإذا ما انتقلنا إلى دراسة جمالية جزء من أجزاء البيت ألا وهو الغرفة باعتبار أن البيت هو المكان المغلق الذي يحوي على العديد من الغرف، ومن هنا يمكن أن نعتبر أن الغرفة أصغر حجما من البيت، ولقد ورد وصف هذا المكان في مقطعين لغرفتين مختلفتين لا من حيث الشكل فقط بل حتى من حيث الشخصية التي تقطنها والمقطع الأول ينقل وصف لغرفة (أم نقولا) عندما استقبلت (نور) عندها وهي كآلاتي:" فتحت عينيها لتجد نفسها في غرفة معتمة،راحت تجول بهما في أرجائها. تدلى من السقف خيط كهربائي مبروم ينتهي بمصباح .خمنت من اهتزازه بوجود نافذة في مكان ما.لم تكن نافذة بالمعنى الصحيح ، بل كوة صغيرة في أعلى الجدار ، تتسرب منها أصوات الأمواج المتكسرة وحزمة ضوء باهت يرسم حدود الأشياء ولا سيما كانت ترقد فوق سرير مغطي

---

[1] إنعام بيوض، السمك لا يبالي، ص117.

[2] عبد الرحمان محمود الجبوري، بناء الرواية عند حسن مطلك،ص 76.

[3] إنعام بيوض، السمك لا يبالي، ص155.

بلحاف سميك "[1]فهذا المقطع الوصفي يحمل مدلولات عميقة ربما لا تريد من خلاله الكاتبة إبراز جماليات هذه الغرفة وما تحويه من أشياء ، وإنما تريد أن توصل لنا الطبقة الاجتماعية لـ(أم نقولا) من مثل النافذة، والخيط الكهربائي الذي تدلى من السقف...ومن هنا " قد تُوفر لنا الغرفة جزءا كبيرا من الراحة والطمأنينة وشعور بالدفء والأمان الذاتي إلا أن هناك غرفا لها قيمة شريرة لا تشعر فيها بأي لون من ألوان الألفة والأمان "[2] وهو من مثل غرفة (لالا طيطمة) التي تجلى وصفها فيما يلي:"في العتمة ، لم يكن فيها أي أثاث يذكر ماعدا فرشة من الإسفنج مطروحة على بساط من سعف النخيل وغطاء صوفي خشن.تكور فوق الفراش "[3]فصفة العتمة التي تكررت في هذين المقطعين للدلالة على الحزن والآلام من قساوة هذه الحياة ففي هذا المقطع ربما لم تكن الساردة لتصف هذه الغرفة إلاّ لتنقل لنا قساوة (لالا طيطمة) على (نجم)، هذا المكان المغلق الذي كان ملجأ للراحة والطمأنينة إلاّ أنه أصبح مكانا ضيقا ومغلقا فعلا على نفسية (نجم) فهذه الغرفة تحولت من مكان هدوء وأمن إلى زنزانة تضجر منها النفس.

- **بيت أم إلياس :**

هو البيت الذي جعلته (ريما) ملجأ الدفء والحنان بعد وفاة أمها فقد استقبلتها في :"غرفة غريبة عمياء الجدران إلا من واحد شُقّ فيه باب صغير بدرفة ذات مربعات خشبية تؤطر لمربعات زجاجية مختلفة الألوان ينفتح على مشرقة صُفت على جنباتها أصص الفل(...)أثاث الغرفة المكسوة أكملها بالسجاد العجمي، ينم عن ثراء عريق وذوق أصيل"[4]،و تعمدت الساردة الإطالة في تقديم هذه الغرفة حتى يتسنى للقارئ التعرف على شخصية (أم إلياس) التي تركت الغرفة على حالها ولم تترك أحد يدخلها بعد سفر ابنها وهذا احتراما له ، آملة في رجوعه لاشتياقها له ، فحضور (ريما)يعني حضور ابنها فهي جعلتها بمثابته.

---

[1]إنعام بيوض، السمك لا يبالي ،ص35.

[2] وليد شاكر نعاس ، المكان والزمان في النص الأدبي ، الجماليات والرؤية،تموز للنشر والتوزيع ،دمشق ،ط12014،ص187.

[3]إنعام بيوض،السمك لا يبالي ، ص 173.

[3]المصدر نفسه، ص72.

1-2-المقهي :

يعتبر مكان (المقهى) من الأمكنة التي لقيت اهتماما في الرواية العربية "فالمقهى كمكان جمالي يعتبر علامة من علامات الانفتاح الاجتماعي والثقافي فنلاحظ أن المقاهي انتشرت في أماكن مختلفة من العالم العربي كانت فيه مجتمعات هذه المقاهي منفتحة انفتاحا اجتماعيا وثقافيا وفنيا ملحوظا"[1]،ولقد ورد وصف فضاء المقهى في الرواية في مقطعين مختلفين وهما كالتالي:وصف المقهى الموجودة في منطقة شتورة: " تناولت (نور) ترويقتها في المقهى فوق المصطبة الخشبية المسقوفة التي تمتد خارج البناء الحجري الأبيض والمسيجة بألواح متباعدة تتقاطع في أشكال هندسية متواترة مطلية بالأخضر المائي"[2]والدافع الذي أدى بالساردة إلى وصف هذا الفضاء ليس رغبة في أن تنقل لنا شكليات هذا المكان، وإنما السبب الذي أدى بـ (نور) إلى ارتياد هذا المكان "فهناك دائما سبب ظاهر أو خفي يفضي بوجود الشخصية ضمن مقهى ما "[3] فهو هاهنا سفر (نور) مع والدها إلى بيروت في فصل الشتاء بعد قطع الحدود فلولا هذا السبب لما كانت الساردة لتصف لنا هذا المكان وتبرز له جمالياته ،وقد يكون الذهاب إلى المقهى "بمحض اختيار الإنسان الذي تحركه في العادة رغبة ذاتية ملحة"[4]، كما هو في المقطع التالي:"هو ذلك الرصيف الخشبي الممتد داخل البحر والقائم على ركائز حديدية سميكة،و المسيج بنوافذ زجاجية تصل إلى السقف، تتكسر عليها الموجات التائهة وتنزلق بحركة سرمدية فوق الصفائح البلورية وقد امتلأت الطاولات المصفوفة على جانبي الرصيف بأصناف المازا المتنوعة والأطباق الشهية،والمقبلات"[5]، تحول فضاء المقهى

---

[1]شاكر النابلسي ،جماليات المكان في الرواية العربية،ص195.

[2]إنعام بيوض ،السمك لا يبالي ، ص29.

[3] حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي ،ص91.

[4]المرجع نفسه ، ص 91.

[5]إنعام بيوض ،السمك لا يبالي،ص36-37.

في هذا المقطع من مكان مغلق إلى مكان مفتوح تتجه إليه الشخصيات لاسترجاع "حرية مسلوبة في أماكن أخرى"[1] وبهذا الوصف يرجع فضاء المقهى الملجأ للشخصية ،وكما أن الموقع الإستراتيجي لها،المطل على البحر وكذا جمالها وتوفرها لكل المتطلبات ، يزيد في رغبة زواره ولكي يتمكنوا من الاستمتاع بوقتهم،وراحة نفوسهم من السفر الطويل .

1-3- المرسم :

هو الفضاء الذي تتجه إليه (نور) للتعبير عن أحلامها ومستقبلها،وكل ما يشغل تفكيرها فهو الذي يسمح لها بنقل عالمها الداخلي من أحاسيس إلى العالم الخارجي بطريقة غير مباشرة ،وقد ورد وصفه فما يلي:"...تحول مشغلها العابق عادة بروائح البنزين وزيت الكتان والألوان الزيتية بمواسيرها المضغوطة الملطخة ببصماتها،والممتلئ بالفراشي المصبوغة والحائلة والمنفوشة،وبرزم أوراق الرسم ولفائف الخيش المعالج بالأبيض،ومكعبات الألوان المائية المركزة،المبعثرة هنا وهناك،واللوحات المخطوطة أو المبتدئة أو المنتهية أو المعدة للمسح ثانية،وأكوام كتب الفن المتناثرة،الموزعة على أكداس صُفت على الأرض وفوق الأثاث بطريقة عفوية تتبع مسارات حركتها في المرسم،وتحدد سماكة الغبار عليها زمن استعمالها أو تصفحها "[2]

كانت (نور) الفتاة المنظمة المحبة للنظافة،لكن الأوضاع والحالات النفسية التي مرت بها جعلها غير مهتمة وغير منظمة،فتبعثر أدوات الرسم المتواجدة في مشغلها يعود إلى عدم استقرار نفسيتها،وأيضا الغبار المتواجد على الأثاث،و الفراشي المصبوغة والحائلة والمنفوشة يوحي بتوقفها عن الرسم لمدة،وكما أن اللوحات المعدة للمسح ثانية هي دليل على تذبذب أفكارها- فالشخصية تؤثر بالمكان وتتأثر به .

---

[1] شاكر النابلسي، جماليات المكان في الرواية العربية،ص197.

[2] إنعام بيوض، السمك لا يبالي،ص40.

1-4-الكنيسة :

هي مكان مقدس يلجأ إليه الناس للعبادة والحصول على الراحة وحضورها في الرواية إنما هو دليل على " التسامح الديني والانفتاح على الآخر والإيمان بالتعدد وحرية المعتقد"[1]وهي على حد تعبير (أم نقولا) التي رافقتها (نور)إلى هذا المكان على أن "الكنائس مثل المساجد بيوت الله"[2]،وقد ورد وصفها في مقطعين ، المقطع الأول هو وصف الكنيسة التي ذهبت إليها (نور) رفقة(أم نقولا) وكانت هذه أول مرة كتب (لنور) زيارتها ويتمثل فيما يلي:" ما إن ولجت (نور) الباب الكبير الذي يلي القبة المرفوعة على أقواس ثلاثة حتى كفنتها برودة المكان"[3]،وهذا التصوير ساهم في البعث في نفس القارئ الإحساس بروح التسامح بين الأديان وتبادل الثقافات وهو ما نلحظه في مجمل الرواية وأما المقطع الثاني فهو وصف لكنيسة (الأرمن) التي زارتها (ريما)مع خالها(حنا) فهي "المبنية بالحجر.كنيسة صغيرة يعلو مذبحها كوات من الزجاج المعشق تضفي على المكان ألوان طيفية تبطنه بحميمية خالصة"[4]، فاستخدام الروائية لأماكن قريبة من الواقع لعلها أرادت إيهام القارئ بمصداقية الحوادث،وإثارة الخيال لديه.

1-5-عيادة الطبيب نجم:

هو مركز لتقديم الرعاية الصحية والعلاجات البسيطة والإسعافات الأولية،ولعل هذا المنشأ فقد بعضا من وظائفه وتحول إلى فضاء تتردد إليه (نور) والكثير من النسوة لإعجابهن (بنجم)فهي "غرفة صغيرة،مملوءة بأكداس من الورق وجهاز محول الهاتف وعلب كثيرة لأجهزة طبية وكرسي فريد،مقابل الباب توجد نافذة مفتوحة تطل على فناء صغير غرست فيه بعض النباتات غير المزهرة "[5]، والواضح من هذا الرسم أن هذه

---

[1]هنية جوادي، صورة المكان ودلالته في روايات واسيني الأعرج،ص117.

[2]إنعام بيوض،السمك لا يبالي،ص 38.

[3]المصدر نفسه، ص 38.

[4]المصدر نفسه، ص69.

[5]المصدر نفسه،ص58.

العيادة هي عيادة خاصة،وهو المكان الذي تعرفت فيه (نور) على (نجم)،وكما أن وصف هذا المكان هو نقل جزئيات مفاده هو إبراز طبيعة عمل (نجم)(الطب).

1-6-المستشفى :

مكان مكون من طاقم أطباء وممرضين يقصده المرضى بهدف العلاج فاحتواء الرواية لهذا الفضاء يعود إلى حاجة الشخصية للاستشفاء ،إلا أن الساردة صورته لنا بصورة تشمئز لها النفس وجعلته "فضاء معادي يفقد فيه الجسد حصانته فيصبح عرضة للفحص السريري"[1]،وتحول هذا الفضاء من مكان يُقصد له لغرض العلاج إلى مكان مناقض تماما لهذه الوظيفة ،لأنه لا يبعث بالراحة النفسية للمريض ولا أمل من خلاله في الشفاء فهنا لعب الوصف دورا فعالا في نقل العلاقة الرابطة بين نفسية الشخصية والمكان وهو ما نستشفه فيما يلي :"قادها الممرض عبر رواق طويل تصطف على جنباته أبواب حديدية فتحت في أعلاها نوافذ صغيرة (...) في حين كانت تنبعث من جميعها روائح زنخ مدوخة تشبه رائحة الجيفة الممزوجة بروائح الأدوية،قاومت ريما رغبة في التقيؤ،(...).تذكرت بأن تاريخ اليوم كان 29 شباط (فيفري).سنة كبيسة. دخلوا إلى منبر وزعت على جانبيه أسرة حديدية صدئة،بعضها خاو والبعض الآخر تشغله كتل بشرية تنوء تحت أحمال من الشقاء الغير الواعي ..."[2]،فأصبح المستشفى بمثابة سجن لهؤلاء المرضى بعد أن جردهم من إنسانيتهم وسلب حريتهم وحرمهم من أبسط ضروريات الحياة

ولعل الدافع الذي جعل هذه الشخصية تلجأ إلى مثل هذا المكان هو انعدام المساندة والدعم سواء ماديا أو معنويا ، وهو على غرار المستشفى الذي تعالج فيه (آرليت) الموجود في (مانا غوا) فقد نقلته لنا الروائية بصورة ايجابية لكنها لا تحس بالأمان فيه لافتقادها لحنان الأم والعائلة وهو ما تبين لنا في " درج المستشفى العريض إلى الطابق الأول تسبقها ممرضة (...) أشارت لها بالدخول إلى غرفة واسعة بها عدة أسرة فارغة

---

[1] حميد عبد الوهاب البدراني ،الشخصية الإشكالية، ص52.

[2] إنعام بيوض،السمك لا يبالي ،ص 108.

يتوسطها سرير..."[1] وهذا الوصف الجزئي للمقطعين إنما هو رصد للفروقات الاجتماعية بين العائلتين وأيضا بين العالمين العالم العربي والعالم الغربي.

2/الأماكن المفتوحة:

إذا كانت الأماكن المغلقة هي الأماكن المحدودة والمقيدة فإن الأماكن المفتوحة على عكسها هي أماكن واسعة تنتقل من خلالها الشخصية دون قيد وهو"مكان خارجي لا تحده حدود ضيقة،يشكل فضاء رحب وغالبا ما يكون لوحة طبيعية في الهواء الطلق"[2]"لاحتضانه لنوعيات مختلفة من العلاقات وأشكال متنوعة"[3]،"فهي عادة تحاول البحث في التحولات الحاصلة في المجتمع وفي العلاقات الإنسانية،الاجتماعية ومدي تفاعلها مع المكان"[4]، وسنقوم بعرضها بحسب درجة انفتاحها:

2-1-المدينة : هو مكان أوجده الإنسان لتحسين أوضاعه المعيشية والبحث عن حياة أفضل لتوفرها على العديد من المرافق ،وتمتاز ببناياتها العالية وشوارعها المنظمة والواسعة،وكذلك احتوائها على الأحياء الشعبية والراقية كما " تتميز كل مدينة بعاداتها وتقاليدها والمدينة قد تكون مكانا مفتوحا ، أو مغلقا ، فقد تكون مغلقة على نفسها أو قد تكون مفتوحة على البحر، أو قد تكون قابعة في زوايا الأودية منكمشة في حركة ذعر أو منتشرة في ظل سهل بعيد "[5]،فقد اختارت الروائية أسماء حقيقة لهذه المدن لكي "يعطي للقارئ إحساس بأنه يستطيع أن يتحقق من وجودها وأن يذهب إلى زيارة هذه الأمكنة"[6]ومن بين هذه المدن التي ركزت في وصفها. نذكر بداية:

---

[1] إنعام بيوض،السمك لا يبالي ، ص 118.

[2] نوال بلجراف واخرون، شعرية الزمان والمكان في رواية تواشيح الورد ،ص 26.

[3] خالد بن سعيد عيقون،التحليل البنيوي الشكلاني لجماليات الخطاب السردي ، ص 82.

[4] مهدي عبيدي ،جماليات المكان في ثلاثية حنا مينة ،ص95.

[5] المرجع نفسه ،ص96.

[6] سيزا قاسم،بناء الرواية،ص117.

- **مدينة الجزائر:**

وتمثل هذه المدينة الإطار الذي وقعت فيه أحداث الرواية بعد رحيل (نور) وعائلتها من مدينة (دمشق)،فهي المدينة التي كانت تحلم بها فوجدتها كمدينة البلور تلك المدينة التي ابتدعتها (ريما) من مخيلتها "بأبنيتها البيضاء المكللة بهالة من ضياء،والمرفوعة فوق أقواس مفرودة على طول الشاطئ،و "قصبتها"المشرئبة على تلة تسترسل لتلامس الموج في جزره وتحبس أنفاسها تلهفا لمدة،وقد تربعت على ذؤابتها القبة المذهبة لنوتردام دافريك"[1]،فعن طريق هذا الوصف تفننت الروائية في رسم هذه المدينة وكأنها لوحة فنية،وكما تكشف أيضا عن إعجاب (نور) بها،فالبياض يزيد المكان رونقا وجمالا، والوصف هاهنا أدى وظيفة جمالية،فجمال المكان إنما يتماشى مع مشاعر الإنسان فإن كانت فرحا جاء الوصف ممتعا وحالما فإن سعادة (نور) برؤيتها للمدينة لأول مرة هو انعكاس على ذلك الوصف الشاعري الذي زينته لنا الكاتبة بالصور البيانية في قولها:"مدينة بيضاء على جبهة القارة السوداء".[2]

وفي مقطع آخر أيضا صورتها الكاتبة تصويرا شكليا مزجته بعناصر الطبيعة هذا ماحدث في رحلة (نور) مع (نجم) الذي "رأى مدينة الجزائر كما لم يرها من قبل.فاتنة،نظيفة،منسقة،بشوارعها اللماعة بفعل الرطوبة،وأبنيتها البيضاء التي تتهامس مع أنوار المصابيح بأسرار الليل وأصداء النهار،وأشجارها الغافية التي منحها النسيم مهلة نعاس عميق"[3]،وإن امتزاج وتفاعل المصابيح الاصطناعية مع العناصر الطبيعية تساهم في جمال هذه المدينة وزيادة رونقها فالوصف هنا قام بعمليه كتقنية زمنية مما أدى إلى إيقاف حركة السرد وحمدها عن تنامي الأحداث .

---

[1] أنعام بيوض،السمك لايبالي،ص101.

[2] المصدر نفسه، ص101.

[3] المصدر نفسه، ص179.

- **مدينة دمشق:**

تشكل هذه المدينة بؤرة الصراع الدائر في الرواية،فهي المدينة التي قضت فيها (نور) طفولتها،فالأشياء الجميلة تبقى في الذكرى حيث " كانت طفلة تجوب شوارع دمشق عصرا،وتستنشق رائحتها الخاصة،وعبقها الزخم قبل ساعة الأصيل. وكأن نباتاتها وأزهارها تغفو مع تهويم القيلولة الذي يستأثر بالناس جميعا بعد الزوال.لتتمطى وتصحو معهم نافثة كل مخزونها العطري"[1]،ومن خلال هذا المقطع تصف لنا الكاتبة هذه المدينة وقت القيلولة ولعل هذا الوقت الذي يكون غالبا فيه الهدوء يعم أرجاء الشوارع فهو الذي جعل (نور) متمعنة ومتأملة في هذه المدينة وطبيعتها ورائحة أزهارها وعبقها الذي يعم (دمشق) هذه الرائحة التي بقيت في ذاكرة نور وهي من أجمل ما بقي منطبعا في ذاكرتها وهذا لتأثرها وارتباطها الشديد بهذه المدينة الجميلة، فالمكان الذي ولدنا فيه يبقى هو المكان الذي نحن إليه دائما وأبدا مهما ابتعدنا عنه وانتقلنا إلى أمكنة أخرى.

- **مدينة زرلدا:**

هي المدينة السياحية الجميلة التي زارتها (نور) رفقة (ريما) و(نجم)وصديقه (الهادي) فهي "بلدة ساحلية هادئة شتاء وصاخبة صيفا تبعد بحوالي عشرين كيلومتر عن العاصمة،وتمتاز بشواطئها الواسعة المفرودة على مد البصر برمالها الذهبية الناعمة"[2].

فهي مدينة تمتاز بشواطئها الواسعة التي زادت من إقبال زائريها والاستمتاع بوقتهم و إمتاع نظرهم بتلك الرمال الذهبية ،فهذا النقل الحي لهذه المدينة جعلنا كما لو كانت أمامنا فعلا فالشواطئ تزيد المكان جمالا وبهاء وقد أسهم وصف الطبيعة في إمتاع أعيننا وإثارة شغفنا لزيارة هذه المدينة .

---

[1] إنعام بيوض، السمك لايبالي ، ص 12.

[2] المصدر نفسه ،ص205

2-2- القرية: هي مكان يتجمع فيه مجموعة من الناس فهم في الغالب يشتركون في العادات والتقاليد والمعتقدات ،فهي مأوى الإنسان الفار من صخب المدينة حيث "تعتبر القرية أكثر الفضاءات دلالة ،لأن البداية كانت منها و إليها وهي مكان يتجرد من كل مظاهر الحياة الحديثة ، يعيش فيها الإنسان حياة بسيطة وهادئة ومن الطبيعي أنها تمثل جذور معظم الشخصيات في الواقع أو في المتخيل كمكان فاعل في الكثير من القصص"[1] وقد ورد وصف هذا المكان في مقطع واحد، وصورته الكاتبة بإيجابية وهو كما يلي :

- **قرية معلولا:**

هي المكان الذي زارته (نور) و(ريما) مع (شماس إلياس) الذي اكتشف موهبة (نور) لأول مرة في الرسم من خلال زيارتهم لهذا المكان،وهذا لإعجابهم الشديد بمناظر هذه القرية وهو ما دفع بريشتها تنساب على الورق من غير وعي منها أما (ريما) فهي " تحاول اختزال المنظر البديع أمامها بالكلمات"[2] وإعجابهما بهذه القرية دليل على جمالها فهي " تلك القرية المبنية بتناضد متصاعد تخاله لا ينتهي .قرية منحوتة في الصخر يبدو كل بيت فيها ككوة مبطنة بدفء البساطة ونسيج الأساطير "[3]،فبناياتها المنظمة يزيد من بهائها ، وبيوتها المنحوتة في الصخر هي محط إعجاب (نور) و (ريما) بهذه القرية .

2-3- الحي:

لعل الحي في الغالب يجمع بين مجتمعات ذات ثقافة واحدة فهو يلعب دورا كبيرا في بناء الشخصية، و يعتبر" النواة الأولى للقرية والبلدة،والمدينة، و يعتبر من أماكن

---

[1] مديحة سابق ، فعاليات الوصف وآلياته في الخطاب القصصي عند " سعيد بوطاجين"،رسالة ماجيستير أدب عربي حديث ، جامعة الحاج لخضر،باتنة،2013،ص131.

[2] إنعام بيوض،السمك لايبالي،ص89.

[3] المصر نفسه، ص89.

الطفولة الأولى مثله مثل رحم الأم،والبيت الأول، ومثل هذه الأمكنة تتسم بالدفء والحنان، والسلام، والمحبة.ومن هنا تبقى عالقة في الذاكرة، أطول مدة ممكنة لأنها هي البدء،وهي أصول الأمكنة الأخرى "[1] وقد يحمل الحي في الرواية العديد من الدلالات والإيحاءات تختلف باختلاف الأعراف والمجتمعات وسنعرض جماليات هذا الفضاء في الرواية فما يلي:

- **حي باب توما:**

وهو الحي الذي اجتازته البطلة (ريما) صحبة خالها (حنا). حي يمتاز "بحاراته الضيقة ودكاكينه المزدانة جدرانها من الداخل بأيقونات ساذجة لمريم العذراء والمسيح مع حواريه، أو مع أغنامه، أو معلقا على خشبة "[2] وتلك الرسومات إنما هو تعبير عن ثقافة حملها هؤلاء دون وعي منهم لكن صفة السذاجة المسندة لتلك الرسومات لعلها لم تحمل بعدا دينيا فعليا من قبل هؤلاء فكأنهم اعتبروها شكليات لاغير ولا أهمية لها .

- **حي العربي:**

هو المكان الذي انتقل (نجم) وعائلته للإقامة فيه، فهو حي موجود في الطرف الجنوبي لمدينة (عين تيموشنت)، فهو يمتاز " بيوت هشة واطئة مبنية بالطوب.أزقة ضيقة تتبع تعرجاتها الجاري المفتوحة على الهواء الطلق والذباب الوقح والروائح الكريهة" [3]، فصفة القدم التي أسندت للبيوت، والقذارة التي اختيرت لهذا الحي من خلال المجاري المفتوحة على الهواء الطلق،أفقدته عبقه ورقيه الاجتماعي و "مؤهلاته الحضارية وتجعله أشبه بالمكان الأثري منه بالفضاء الآهل المسكون"[4].

---

[1] شاكر النابلسي، جماليات المكان، في الرواية العربية،ص52.

[2]أنعام بيوض، السمك لايبالي، ص69.

[3]المصدر نفسه،ص45.

[4] حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي ، ص82.

وإجمالا هذه الصفات يمكن عرضها فيما يلي:

الحي العربي ⟸القدم + الضيق + الروائح = حي شعبي.

2-4-السوق:

إن السوق هو الفضاء الذي يجمع بين المشترين والباعة، وهو أيضا مكان مفتوح لتلاقي الأشخاص فيه من مختلف الأعمار والفئات إذ " تختلف بنيته الهندسية والعمرانية تبعا للمكان الواقع فيه سواء كان قرية أو مدينة ، وهو ليس مكان للتطبع فحسب وإنما أيضا للقيا والحوار الاجتماعي المتبادل "[1]، ومن هنا يمكن أن تتحول وظيفته المعروفة (البيع والشراء) إلى مكان لتبادل الحوار بين الأشخاص وقد ورد وصف هذا المكان في الرواية في مقطع واحد تمثل في:

- **سوق الحميدية:**

وهو السوق الذي اجتازته (ريما) رفقة خالها (حنا) وهي ذاهبة إلى بيت جدتها إذ" ليس ضروريا أن يكون كل مرتاد لهذا المكان قد شارك في البيع والشراء"[2]ويتمثل وصف هذا المكان فما يلي :"الباعة المتجولون يصيحون على سلعهم بأغان مختلفة والتجار يقفون أمام دكاكينهم المُنارة بمصابيح ملونة يدعون المارة للدخول إلى محلاتهم بكلمات ترحيب حارة ، تخالهم يدعون ضيوفا لزيارتهم ، واختلاط روائح التوابل والعطور والقهوة والأقمشة الجديدة"[3] وفي هذا التصوير جمعت الساردة بين الحواس بين حاسة السمع وحاسة البصر، وحاسة الشم لترسم لنا تلك اللوحة الحقيقية للسوق

---

[1] هنية جوادي ، صورة المكان ودلالته في روايات واسيني الاعرج،ص128.

[2] المرجع نفسه ، ص128.

[3] أنعام بيوض: السمك لا يبالي، ص79.

وجعلتنا نتعمق فيه ونتخيله وكأننا نعيش فعلا تلك الأجواء وهذا مايمكن توضيحه في الجدول التالي :

حاسة السمع	حاسة البصر	حاسة الشم
الباعة المتجولون يصيحون على سلعهم بأغان مختلفة	دكاكينهم المنارة بمصابيح ملونة.	اختلاط روائح التوابل والعطور و القهوة والأقمشة الجديدة

وفي هذا الجدول يتضح التسلسل في استخدام مختلف الحواس في وصف هذا السوق لتكتمل صورته وتجعله أقرب للواقع.

وتأسيسا على ما سبق تقديمه في هذا العنصر بإمكاننا القول أن للمكان أهمية كبيرة في العمل الروائي، وتكتمل هذه الأهمية لارتباطها الوثيق بالشخصية، فوصف جماليات هاته الأمكنة إنما هو وصف للشخصيات ومدى ارتباطها بها، وحضورها في المكان يعتبر أساسا في إبراز مدى التوافق والتباعد الموجود بين هذين العنصرين.

ثالثا: المكان وعلاقته بالأثاث.

إن المكان لكي يكتسب جماليته لابد من إحاطته بعناصر عديدة حيث أن الروائي عندما يصف لا يصف الفراغ وإنما يصف المحتويات التي توجد على رقعته ،وكما أن رسم أبعاده ووصفه لا يتم بدقة إلا من خلال ربطه بها، فالمنزل مثلا " يحتوي بداخله أدوات أكل وزينة وأرائك وأثاث وتحف فنية "[1]، ولقد تنوع وصف الأثاث في الرواية من مكان لآخر وهذا التنوع يؤدي إلى اختلاف الدلالات.

ولعل السرير في الرواية احتل مكانة لابأس بها ، حيث " تعددت الدلالات و وظائف السرير في الواقع ، وفي الرواية فهو مكان النوم والراحة والاسترخاء،(...)،كذلك فإنه المكان المثالي للتخيل والتذكر، وأحلام اليقظة وأحلام النوم "[2]،وهذا ما نجده في

---

[1] صالح ولعة ، المكان ودلالته في رواية "مدن المنح"،عالم الكتب الحديث للنشر ،عمان،2010،ص157.

[2] عبد الرحمان محمد محمود الجبوري : بناء الرواية عند حسين مطلك،ص83.

الرواية، ويمكن أن نمثل ذلك بمقطعين يختلفان دلاليا فالأول يتمثل في سرير (نور):"سرير مغطي بلحاف سميك منجد يصل إلى أنفها وبجانبه إبريق و كأس"[1]الساردة في هذا المقطع صورته بإيجابية أما الثاني يتمثل في سرير مصطفى وهو في المستشفى يحمل دلالة مخالفة تماما لذلك "... وزعت على جانبيه أسرية حديدية صدئة، بعضها خاو والبعض الآخر تشغله كتل بشرية "[2]،فهذا يوحي ببشاعة ذلك المكان وسوء أوضاعه وصفة الصدأ المسندة لهذه الأسرة توحي بذلك، " ولذلك فإن السرير ممكن أن يتحول من مكان صديق مرغوب إلى مكان عدواني "[3] .

ولعل الأثاث يعطي للمكان جماله وبهائه وإعطاء صورة عاكسة له فإن كان أثاثا بسيطا ينم على مكان بسيط ، وإن كان على عكس ذلك فإنه يدل على فخامة المكان ، فالكاتبة عرضت لنا هذين النوعين ،فبيت زوج (آرليت) هي أقرب مثال لذلك ،والمتميز بـ: " التحف النادرة المزروعة بين أركانه واللوحات الأصيلة المعلقة على جدرانه والثريات البلورية المثقلة بالبذخ والتي تتدلى من سقفه "[4]،فهذه الأشياء أضفت رونقا على هذا البيت وجعلته يكتسب صفات تميزه عن بيت آخر ، فهو نموذج للأثاث الذي يتسم بالفخامة والجمال وديكوره الرائع وهذا راجع إلى نفاسة وغلاء أشيائه وهو مخالف لشقة (نور) التي تتميز بـ " أثاث بسيط لكنه ينم عن ذوق رفيع"[5] ، وبالرغم من جمال وفخامة بيت زوج (آرليت) إلا أنه مكان لا يبعث بالراحة ، فاختيار الأثاث البسيط هي التي تشعر بالاسترخاء وراحة النفس وتبعث الهدوء في المكان ، وكما أن تغيير الأثاث في المناسبات هي عادة من عادات المجتمعات العربية خاصة المفرحة هو ما نقلته لنا الكاتبة يوم الإفراج عن (سميحة) من السجن وأهم التحضيرات التي قامت بها (هيام) التي

---

[1] إنعام بيوض، السمك لايبالي ،ص35.

[2] المصدر نفسه ، ص 108.

[3] عبد الرحمن محمد محمود الجبوري : بناء الرواية عند حسن مطلك، ص84.

[4] إنعام بيوض، السمك لايبالي ، ص 117.

[5] المصدر نفسه ،ص 47.

أخرجت"كل جهازها لتزيينها : الستائر الحريرية المطرزة، ومفرش السرير المخرم والوسائد المشغولة بالإبرة حتى التفريعة الوردية من الدانتيل الرفيع ، التي لم تخرجها من الحقيبة الكبيرة منذ زفافها(...) وهناك في أرجاء البيت الكبير : السجاد العجمي، وأباريق الفضة وأطقم السفرة من الأوبالين،والأثاث المصدف والساعات البرونزية والنحاس"[1] فأباريق الفضة ، أطقم السفرة المصنوعة من الأوبالين هي بصمات من الماضي التركي وأرقاهم فقد ساهم الأثاث القديم في إبراز الجماليات الكامنة في هذا البيت بدقة متقنة تحمل عبق الفخامة والعراقة ، وكلما كان الأثاث عريقا أعطي للمكان رونقا خاصا ، وكما أن الأثاث الموجود في البيت هو الذي يجعلنا نحس بالدفء والأمان وهو ما يتمثل في قول الساردة على لسان (نجم) : " بعد أن فرشناها باللحافات المنجدة على الزربية السميكة ، وألقين فوقهم غطاءا صوفيا طويلا"[(2)]فالفراش هاهنا يعد منبع العطف والعناية وهو يرسم لنا أمان المكان فقد تفقد الأشياء وضيفته كـ ديكور في مكان لتصبح رموزا للواقع وهو ما نلحظه في وصف أثاث بيت (أم الياس) " المكسوة بأكملها بالسجاد العجمي (...)أكثر مايلفت الانتباه ، هو الساعات الجدارية البرونزية السبع . خمس منها متوقفة على ساعة معينة ماعدا ساعتين. إحداهما تشير إلى التوقيت المحلي والأخرى تسبقها بثماني ساعات (...)أحيطت إحدى الساعات الخمس المتوقفة بشريط مخملي أسود علقت عليه أيقونة صغيرة ذات إطار نحاسي منقوش بكتابات عبرية تتوسطه صورة قديمة لشاب في غاية الوسامة لابد أنه والد إلياس فالشبه كبير بين هذه الصورة وصورة (إلياس) التي تتصدر الحائط أمام السرير الخشبي ذي الأعمدة الملولبة "[(3)] ، فالسجاد العجمي ينم على أصالة وعراقة أثاث الغرفة ،أما الساعات الخمس حملت دلالة مغايرة فهي رمز لفراق(أم إلياس) لأشخاص مقربين عليها ، فالساعتين تدل على انتظارها الشديد لابنها الموجود في أمريكا

[(1)]إنعام بيوض، السمك لايبالي ، ص 64-65.

[(2)] المصدر نفسه، ص156.

[(3)]إنعام بيوض، السمك لايبالي ، ص 72-73.

ففارق التوقيت بين الساعتين يدل على الفارق الموجود بين مدينة دمشق وأمريكا حيث يدرس (إلياس) ، أما الشريط المخملي الأسود فيدل على الحزن المحيط بتلك الغرفة لفراق (أم إلياس) لأعز الناس لها، وما يمكن ملاحظته هنا هو الترابط الموجود بين الأثاث والأمكنة و الأشخاص .

خاتمة

خاتمة

بعد هذه الرحلة العلمية في وعالم الرواية، وبعد الدراسة التي أجريناها في رواية السمك لا يبالي نصل إلى مجموعة من النتائج :

- إن الوصف مصطلح قديم مرتبط بالكثير من الأجناس الأدبية، وقد تمكن من اقتحام العديد من الفنون النثرية حديثا كالرواية.
- اعتمدت الرواية على الوصف كوسيلة لتقديم الشخصيات الروائية، والتعريف بها بصورة أقرب، وتجسيد الأشياء، وعلى السرد لتحريك الأحداث، ومهما اختلف هذين العنصرين إلا أن أهميتهما كبيرة في بناء المشاهد الروائية.
- إن وصف الشخصية ببعديها الداخلي والخارجي جعلنا نغوص في أعماق الرواية ونفهم ما يدور في فكرها ، وتبين لنا دورها في بناء الرواية من خلال تأثيرها وتأثرها بما يحيط بها من أمكنة وأشياء .
- إن الشخصيات والأمكنة في هذه الرواية قريبة من الواقع وبعيدة كل البعد عن الرمز والغموض.
- المكان جاء في الرواية تحت ثنائية " المغلق والمفتوح " وتعدده في الرواية يعود إلى تعدد الشخصيات واختلاف طبائعها وطبقاتها، فالمكان هو المرآة العاكسة للشخصية، وكما انقسم الى المكان الدمشقي والمكان الجزائري من أجل المقارنة
- إن نظرة الشخصية الواحدة اتجاه المكان تتغير لان هناك علاقة رابطة بينها وبين المكان فهي تؤثر فيه وتتأثر به

وفي الأخير نود أن نشير إلى أن دراسة بنية الوصف في الرواية ليست سوى محاولة تبقى قابلة للتغيير، والتجديد وفق زوايا نظر أخرى مختلفة من اجل الكشف عن خبايا العمل الروائي وجمالياته.

قائمة المصادر

والمراجع

1 : المصادر .

1- إنعام بيوض ، السمك لا يبالي ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط1، 2004

2: المراجع العربية:

2- إبراهيم خليل، بنية النص الروائي ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط1 2010.

3- أحمد محمد عوين، دراسات في السرد الحديث والمعاصر، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، الاسكندرية، ط1، 2009.

4- أحمد مختار عمر ، اللغة واللون ، عالم الكتب للنشر ، القاهرة ، ط1 ، 1986.

5- إدريس الكيروي ، بلاغة السرد في الرواية العربية ، منشورات الاختلاف الجزائر ، ط1 ، 2014.

6- آمنة يوسف ، تقنيات السرد ، في النظرية والتطبيق ، دار الحوار للنشر ، سوريا ، ط1 ، 1997 .

7- حسين بحراوي ، بنية الشكل الروائي ، (الفضاء ، الزمن ، الشخصية)،المركز الثقافي العربي ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1990.

8- حميد عبد الوهاب البدراني ، الشخصية الإشكالية مقاربة سيسيو ثقافية في خطاب أحلام مستغانمي الروائي ،دار مجدلاوي ،ط1 ،2013.

9- حميد لحميداني ، بنية النص السردي (منظور النقد الأدبي) ، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر ، بيروت ، 1991.

10- خالد بن سعيد عيقون ، التحليل البنيوي الشكلاني لجماليات الخطاب السردي (الوظائف ، الشخوص ، الزمن ، الصور ، الدلالات) مطبعة الزيتونة ،تيزي وزو، 2004.

11- عبد الرحمان محمد محمود الجبوري ،بناء الرواية عند حسين مطلك دراسة دلالية ، المكتب الجامعي الحديث ، الإسكندرية ،2012.

12- رفقة محمد دودين ، خطاب الرواية النسوية العربية المعاصرة ، منشورات أمانة عمان الكبرى ، 2007.

13- سيزا قاسم ، بناء الرواية دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ ، سلسلة إبداع امرأة ، 2004.

14- شاكر النابلسي ،جماليات المكان في الرواية العربية ، دار الفارس للنشر والتوزيع ، عمان ، ط1 ، 1994.

15- شعبان عبد الحكيم محمد ،الرواية العربية الجديدة دراسة في آليات السرد ، مؤسسة الدراق للنشر ، عمان ، ط1 ، 2014.

16- صادق قسومة ، طرائق تحليل القصة ، دار الجنوب للنشر ، تونس ، 2000.

17- صالح ولعة ، المكان ودلالاته في رواية " مدن الملح " ، عالم الكتب الحديث للنشر ، عمان ، 2010.

18- عثمان بدوي ، وظيفة اللغة في الخطاب الروائي الواقعي عند نجيب محفوظ دراسة تطبيقية موفم للنشر والتوزيع ،الجزائر ، 2000

19- فيصل غازي النعيمي ، جماليات البناء الروائي عند غادة السمان ، دراسة في الزمن السردي ، دار المجدلاوي للنشر ، الأردن ، ط1 ،2013.

20- قدامة بن جعفر ، نقد الشعر ، تح: محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان .

21- عبد اللطيف ، وظيفة الوصف في الرواية ، منشورات الاختلاف ،ط1 ،2009.

22- عبد المالك مرتاض ،في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد ، عالم المعرفة ، الكويت ،1998.

23- محمد بو عزة ، تحليل النص السردي ، تقنيات و مفاهيم ، منشورات الاختلاف الجزائر العاصمة ، الجزائر .

-محمد عزام :

24- فضاء النص الروائي (مقاربة بنيوية تكوينية في أدب نبيل سليمان) دار الحوار للنشر، ط1، 1996.

25- شعرية الخطاب السردي دراسة ، منشورات اتحاد كتاب العرب ، دمشق 2005.

26- مصطفى فاسي ، بناء الشخصية في حكاية عبدو والجماجم والجبل مقاربة في السرديات ، منشورات الأوراس، 2007.

27- مهدي عبيدي ، جماليات المكان في ثلاثية حنا مينة (حكاية بحار ، الدقل ، المرفأ البعيد) منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب ، دمشق ، ط1 ، 2011.

28- ناصر يعقوب ، اللغة الشعرية وتجلياتها في الرواية العربية ، دار الفارس للنشر والتوزيع ، الأردن ، ط1 ، 2004.

29- نفلة حسن أحمد العزي ، تقنيات السرد وآليات تشكله ، دار غيداء للنشر ، عمان، ط1 ، 2011.

30- وليد شاكر نعاس ، المكان في النص الأدبي الجماليات والرؤيا ، تموز للنشر والتوزيع ، دمشق ، ط1 ، 2014.

3: المراجع المترجمة

31- غاستون باشلار ، جماليات المكان ، تر : غالب هلسا ، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 1984.

4 - المعاجم والقواميس :

32- جيرالد برنس ، المصطلح السردي ، تر: عابد خزندار ، المجلس الأعلى للثقافة القاهرة ،ط1، 2003.

33- محمد بوزواوي ، معجم مصطلحات الأدب ، الدار الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 2009.

34- ابن منظور ، لسان العرب ، مج 14، دار الأبحاث ، ط1 ،2008.

35- مجموعة من المؤلفين ، معجم السرديات ، دار محمد علي للنشر ، تونس ، ط1 ، 2010.

5 –الرسائل الجامعية :

36- مديحة سابق ،فعاليات الوصف وآلياته في الخطاب القصصي عند " سعيد بوطاجين " رسالة ماجستير ، جامعة باتنة ، 2013-2014.

37- نوال بلحراف وآخرون، شعرية الزمان والمكان في رواية " تواشيح الورد لـ: منى بشلم " مذكرة ماستر ، جامعة باتنة ،2014، .

38- هنية جوادي ، صورة المكان ودلالاته في روايات واسني الأعرج ، رسالة دكتورا ، جامعة بسكرة .

6 : المجلات :

39- سليم بتقة ، تلمسات نظرية في المكان وأهميته في العمل الروائي ، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة العربية والأدب الجزائري ، جامعة محمد خيضر ، بسكرة ، الجزائر ع06 ، 2010.

40- فرامرز ميرزابيي ، جماليات اللغة السردية عند ميسون ، هادي دراسة الوصف في " حلم وردي فاتح اللون " نموذجا ، مجلة الجمعية العلمية الإيرانية للغة العربية وآدابها ، ع19 ، 2011.

فهرس .

الموضوعات

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	أ–ب
مدخل : الوصف و السرد	05
أولا: الوصف	05
1–الوصف لغة	05
2–الوصف اصطلاحا	05
ثانيا: السرد	07
ثالثا: حدود العلاقة بين السرد والوصف	09
رابعا: علاقة الوصف بالزمن	10
الفصل الأول : وصف الشخصية	13
أولا: تعريف الشخصية	13
ثانيا: وصف الشخصية في الرواية	15
1–الوصف الخارجي	16
2–الوصف الداخلي	30
ثالثا: وصف الأشياء وعلاقتها بالشخصية	32
1–تعريف الأشياء	32
2–وصف اللباس	33
الفصل الثاني : وصف الأمكنة	38
أولا: تعريف المكان	38
ثانيا: وصف المكان في الرواية	39
1–الأماكن المغلقة	40
2–الأماكن المفتوحة	51

فهرس الموضوعات

ثالثا: المكان و علاقته بالأثاث	57
خاتمة	62
المصادر و المراجع	64
الفهرس	69
ملخص	--